BEHIND
THE CURTAINS
OF SILENCE

خلف ستائر الصمت

الضحايا لا يتحدثون
لكن الأدلة تفعل

رضوى محمد

ساحر الكتب

خلف ستائر الصمت
المؤلف
رضوى محمد

الترقيم الدولي: 978-633-8252-41-0 رقم الإيداع: 2024/30838

© جميع الحقوق محفوظة لدار ملاذ للنشر والتوزيع
دار ملاذ لا تتبنى أيًا من الآراء الواردة في هذا الكتاب، ولا تقبل بإعادة إصدار هذا الكتاب أو جزء منه أو نقله أو تصويره، سواء كان مطبوعًا أم إلكترونيًا، ويُستثنى من ذلك ما كان متفقًا عليه ومصدقًا خطيًا.

الطبعة الأولى: 2025

تصميم الغلاف:
محمد علي

المراجعة اللغوية والإخراج الداخلي:
Mr.Right

المدير العام:
عمر عماد

malaz.publishing@gmail.com
01060940772
malaz_publishing
Malaz Publishing
malazpublishing

إهداء

إلى إخوتي: خالد، أحمد، وعبد الرحمن،

دمتم لي أحبةً، وعونًا، وسندًا.

إلى قرائي الأعزاء: بعد فضل الله عليّ، كان تشجيعكم السبب في خروج هذه الرواية إلى النور. شكرًا لكم من أعماق قلبي.

1

استطاعت ليلى بصعوبة أن تتحسس الباب خلفها بعد أن تقهقرت خطوات وهي تنظر إلى جسد الفتاة الرخو، والذي يستند إلى المرحاض وتحته بركة عظيمة من الدماء القرمزية. فتحت باب دورة المياه وهي ما تزال تراقب الجسد مخافة أن ينقض عليها، رغم انها تقسم في نفسها أن الفتاة لا بد وأن تكون قد فارقت الحياة، فهاتان العينان المحملقتان في الفراغ لا يمكن أن تكون إلا لشخص ميت. انطلقت كالبرق إلى مكتب الأستاذة حبيبات، وهو أكثر مكتب في المدرسة تكرهه وتلعن اليوم الذي تمر فيه من أمامه، ناهيك عن الدخول إليها بمحض إرادتها. كانت حتى هذه اللحظة لم تصرخ، لم تبكِ كما يتوقع لفتاة في السادسة عشر من عمرها قد رأت لتوها جثة غارقة في دمائها.

بمجرد أن وضعت يديها على مكتب الأستاذة المذهولة من اندفاعها ولهاثها واتساع عينيها السوداوين الواسعتين أصلًا حتى بديا مرعبتان ومرعوبتان في آنٍ معًا وكأنهما ستخرجان من محجريهما. في هذه اللحظة صرخت بكل ما أوتيت من قوة في وجه الأستاذة المنزعجة والمتوعدة:

- إنها هناك، جثة هامدة.. دمااااء في كل مكان.. عيناها خاليتان من أي شيء.. تحركي!

نظرت إليها الأستاذة المدهوشة وقد شلت الصدمة تفكيرها، ومنعها الخوف من القيام بأي حركة؛ مخافة أن يكون ذلك أحد مقالب الفتيات السخيفة، خاصة وأنها تعلم أن ليلى تستمتع بتلك

الأمور، ولكن بخبرتها التي تعدت العشرين عامًا في التعليم أخبرها حدسها أن الأمر جديًا وخطيرًا بالفعل.

- اهدئي يا فتاة وأخبريني ما الأمر؟

لم تستوعب ليلى كيف يمكن لهذه المرأة أن تكون هادئة بهذا الشكل وهناك جثة في حمام مدرستها. قالت والبكاء قد أخذ منها كل مأخذ.

- لقد أخبرتكِ، إنها ميتة في الحمام.. بالله ألا تفهمين؟ إنها هناك ملقاة وسط بركة من الدماء.

في الظروف العادية كان سيلحق بليلي عقابًا لتجاوزها في القول، ولكن محبات بحنكة عشرون عامًا من التدريس أحست أن هذه الفتاة في حالة لا تؤاخذها على ما تقول.

انتشرت أخبار الجثة المسجاة في الحمام كانتشار النار في الهشيم بين الطلاب داخل المدرسة. استمتع الطلاب الغر بنقل القصة، والتي لا يعلمون عنها إلا القليل، وكل واحد فيهم يضيف توابله الخاصة حتى يجعل الأمر أكثر إثارة، وكأن وجود جثة في مدرستهم لا يكفيهم.

كان رمّاح يقرأ في كتابه غير آبه بمن حوله، وعلى مقربة منه عصبة من فتيات يتحدثن بانفعال وإثارة مما أزعجه وفكر أنه يجب أن يغادر مكانه هروبًا من إزعاجهن. نظر إليهن مغتاظًا، فبسبب صيحاتهن المزعجة سيفقد مقعده المفضل، والذي سبقهن إليه فقط لأنهن فتيات مراهقات مزعجات، عندما أيقن أنه لا فائدة ترجى من

الدخول معهن في جدال عقيم عن أحقيته في هذا المقعد المبارك، هم بالمغادرة، ولكن لفت انتباهه بضع كلمات تناهت إلى سمعه من الفتاة المنغمسة في حديثها وكأنها تلقي خطبة عصماء عن حقوق الإنسان.

- ليلى علوان المسكينة هي من وجدتها مقتولة بهذا الشكل في الحمام؟ هل يمكن أن يوجهوا لها تهمًا؟ سمعت أن المسكينة في حالة يرثى لها.

كانت الفتاة تبدو نصف مستمتعة، نصف خائفة. لم تكن كلمة مقتولة هي التي أثارت انتباه رماح، فما أكثر ما يتناقله هؤلاء الفتيات من أخبار عن حوادث القتل، ولكن لم يكن ليُذكر اسم ليلى دون أن يخفق قلبه ويثار قلقه وحفيظته.. تنحنح بلطف وسأل مباشرة دون مواربة:

- عذرًا، عن أي ليلى تتحدثون؟

تمنى من كل قلبه أن يكون حديثهم عن ليلى حايك كعادة أحاديثهم التافهة عن مشاهير هوليود. نظرت إليه الفتاة باستحقار كمن ينظر إلى ذبابة متطفلة، ثم قالت:

- ليلي علوان في الصف العاشر، ألا تعرفها؟

وقع قلبه في قدمه، وقال وهو يزدرد ريقه بصعوبة:

- ما الذي حدث لها؟

نظرت إليه الفتاة باستغراب وهي تقول سريعًا قبل أن ترحل مع صديقاتها هروبًا من تطفله وأسئلته المزعجة:

- ألم تسمع يا هذا؟! لقد وجدت فتاة مقتولة في دورة المياه.

انطلقت بعيدًا مع عصبتها من الفتيات قبل أن يسألها مزيدًا من الأسئلة. لوهلة شعر رماح وكأن عقله الذي يعق به كثيرًا قد توقف عن العمل: "ما الذي يجب أن أفعله؟ هيا يا رماح فكر سريعًا، إنك بحاجة إلى عبقريتك الآن أكثر من أي وقت مضى." قطع فناء المدرسة كالبرق، لو أن ليلى هي من وجدت هذه الجثة لا بد أنه سيتم استجوابها من قبل الشرطة، وإن كان تعثرك بجثة كفيل بجعل أي إنسان مرتعب غاية الرعب، فإن استجواب الشرطة بعدها كفيل بأن يجعلك تفقد صوابك مما يصعب الأمور أكثر، وقد يجعلك محل شكوك الشرطة بشكل كبير. في فورة خوفه وقلقه على ليلى شعر أن وجود جثة في مدرسة أمرًا عاديًا لا يستحق التوقف عنده طويلًا. يجب أن يجد مازن، أغلب ظنه أنه لا يعلم شيئًا عن الأمر حتى هذه اللحظة، فلو علم لهرع إليه ليطلب مساعدته كعهده به.

لاح ملعب كرة القدم أمامه، قطع الأرض الخضراء غير عابئ بصيحات الاستهجان التي تتعالى من بعض اللاعبين الذين تنبهوا لدخوله إلى المستطيل الأخضر قاطعًا تدريبهم أو أيًا كان ما يفعلونه. كان مازن يقف في وسط الملعب مستغرق تمامًا مع المستديرة الساحرة، مواليًا ظهره لرماح الذي كان قد وصل إليه في ثوانٍ قليلة، فجره من ذراعه على حين غفلة منه، ومشى به يقطع الملعب خارجًا وسط ذهول مازن واللاعبين الآخرين. نظر إليه بعينين يتطاير منهما الشرر سائلًا إياه:

- ما الذي تفعله يا رماح؟ لماذا تجرني هكذا أيها الغبي!

سحب يده بقوة من رماح وأجبره على التوقف بعد أن استوعب ما يحدث، كان مازن ذا جسد رياضي قوي، بدا كالثور الهائج من فعل صاحبه.

- إنها ليلى أيها الأحمق، إنها في ورطة.. ألم تسمع عن جريمة القتل التي حدثت؟

لوهلة بدا مازن وكأنه لا يفهم أي شيء مما قاله صاحبه.

- جريمة قتل؟! ليلى في ورطة؟! ما الذي تقصده؟ تكلم!

- هيا امشِ معي وسوف أحكي لك ونحن في الطريق إليها.

قصّ على مازن ما سمعه من البنات، قاطعه:

- من بين كل المدارس تحدث جريمة قتل ها هنا؟ ثم من بين كل البنات أختي هي التي تعثر على الجثة؟! لا بد أنها مذعورة وقد لا تظهر حتى الأمر، فأنا أعرفها جيدًا، ولكن حتى إن وجدت الجثة فهذا لا يعني أي شيء أليس كذلك؟

- نحن لا نعرف أي شيء بعد، ولكن لا شك أنه سيتم استجوابها من قبل الشرطة، فهذه جريمة قتل! ولن تتحمل ليلى شيئًا كهذا رغم قوتها. يجب أن نسرع، لا بد أنها مذعورة كما تقول، لا بد أن رؤيتك ستطمئنها ولو قليلًا.

نظر إلى مازن بطرف عينيه، فهو نفسه يشك في الأمر كثيرًا لما يعلم من حال الاثنين مع بعضهما، ولكن رغم كل شيء، تبقى عروة الأخوة من أوثق العرى، خاصة في الأزمات وهو الأمر الذي لن يختبره رماح أبدًا، فهو لا أخوة له، إلا أنه يعلمه رغم ذلك علم اليقين. فأحيانًا

يكون افتقادنا لإحساس ما هو أكبر دليل على أهمية وجود هذا الإحساس.

عندما وصلوا أخيرًا إلى مكتب الأستاذة محبات، كان عم حسني يقف على الباب المغلق على غير عادته، ويمنع أيًا من الطلاب المتجمهرين أمام المكتب من الدخول. شقَّ مازن ورماح طريقهم إلى عم حسني بعد أزاحه الطلاب الفضوليون.

- أريد أن ادخل إلى ليلى يا عم حسني.. لا بد أنها بالداخل.

- قالت لي أستاذة محبات ألا يدخل أو يخرج أيًا كان إلى المكتب.

تأكد رماح أن ليلى لا بد أن تكون بالداخل بالفعل؛ لأنه شك أن تكون قد نقلت بعيدًا عن المكتب؛ لذلك فقد وضع يده على كتف عم حسني وقال بصوت خفيض:

- عم حسني.. لا بد أن ليلى مذعورة الآن وهي تجلس بمفردها داخل هذا المكتب بعد أن رأت جثة.. هل ترضاها لابنتك؟

جعد عم حسني جبينه متأثرًا بكلام رماح، ولكنه ما زال مترددًا، فأخرج رماح من جيبه ورقة ماليه يعلم الله وحده مقدارها ودسها في يد عم حسني ليقطع تردده الذي قال سريعًا:

- هيا ادخلا، ولا تطيلا المكوث.. فالأستاذة محبات قد تعود في أية لحظة ولا أريد أية متاعب بسببكما.

فتح الباب في لمحة بصر، ودفع بالاثنين إلى الداخل، رفعت ليلى وجهها الشاحب الجميل عندما فُتح الباب واندفعت تجري إلى مازن الذي احتضنها بين ذراعيه:

- هل أنتِ بخير؟

رفعت ليلى وجهها ومسحت دموعها وهي تحاول الابتسام.

- أنت تعلم كم أهوى أفلام الرعب!

فكر رماح وهو ينظر إليها، هذه هي ليلى كعهده بها تمامًا منذ أن رآها وهي في الخامسة من عمرها. أسرع من تضحك وتبكي في آنٍ معًا. ما زالت تلك الطفلة الحلوة ذات العينين السوداوين الواسعتين التي يشعر أنه قد يغرق فيهما إن أطال النظر إليهما. في هذه اللحظة كانت كمن انتبهت إليه أخيرًا، فهي قلما تنتبه إليه، رغم أنه موجود دائمًا إلا أنها لا تكاد تلاحظه، ولكنها انتبهت إليه بعينين شاكرتين:

- رماح.. لقد جئت أيضًا، شكرًا لك.. لا أعرف لماذا يمنعونني من الخروج! أخشى أن يكون هذا نذير شؤم.

- لأنكِ أول من وجد الجثة، لا بد أنه سيتم استجوابك من قبل الشرطة.

بعد أن أنهى جملته، شعر بأنه غبي وأحمق لما بدا عليها من الذعر. للأسف الشديد لقد تعود على حمقه وبلاهته أمامها حتى أصبح لا يفاجئه الأمر. قال مازن محاولًا تلطيف ما قاله:

- ليلى حبيبتي.. هذه مجرد شكليات، رماح هو من جاء بي إلى هنا عندما علم بالأمر، لم أكن لأعلم لولاه.

قال ذلك محاولًا تبرير وجود هذا الأحمق الذي يخيفها بكلامه. قطع مازن الصمت الموتر:

- الآن يا ليلى.. هلا أخبرتينا بما حدث وما رأيتيه بالضبط؟

- ذهبت إلى الحمام، ولكن عندما دخلت رأيت قدمين ممددتين خارج غرفة الحمام.. استغربت أن تجلس إحداهن في هذه الوضعية، كان الباب مواربًا، ولم يكن مفتوحًا على آخره؛ لذلك فقد رأيت أن أنبه من في الداخل، فلربما لم تسمعني وأنا أدخل.. ناديت أكثر من مرة، وعندما لم أجد إجابة صرت أكثر قلقًا، وفكرت أنه لربما فقدت الفتاة وعيها؛ لذلك فتحت الباب.. وجدتها جالسة، ظهرها للمرحاض والدماء تسيل منها وسكين مغروس في صدرها، رأسها متدلية على صدرها وعيناها مفتوحتان على آخرهما.. كدت أصرخ، ولكني خفت أن يكون القاتل ما زال في الحمام؛ لذلك فقد وضعت يدي على فمي مانعة صرخاتي، وحاولت ألا أحدث أية ضجة وأنا أتسلل خارجة، ثم أطلقت ساقاي للريح حيث مكتب حبيبات.. أقصد محبات.. ولكم كنت غبية!

- لماذا؟

سألها مازن وهو لا يفهم مقصدها من نعتت نفسها بالغباء، أجابه رماح قبل أن تنطق:

- ذلك لأنها كانت قد نادت أكثر من مرة قبل أن تدخل على الضحية، لم يكن هناك داعٍ لأن تتسلل خارجة أو أن تكتم صرخاتها.. لو أن القاتل ما زال في الحمام لأجهز عليها في هذا الوقت قبل أن تكتشف الجثة وتفضحه، ولكن الطبيعي أن يشل الخوف تفكيرنا المنطقي ويجعله في أقل درجاته فنزداد حذرًا فيما لا ينفع أحيانًا.. إنها إحدى آليات الجسم للدفاع عندما نرتاع.

- بالضبط، هذا ما فكرت فيه لاحقًا وأنا أجلس هنا لا أفكر في شيء إلا هذه الجريمة البشعة.

- هل تعلمين من هي الفتاة؟ هل تعرفينها أو رأيتِها قبل هذا؟

كان رماح هو الذي وجه السؤال إليها، قالت وهي تحاول أن تبعد عنها ذكرى الجثة المسجاة:

- حقًا، لم أتحقق من وجهها.. كان الأمر بشعًا، ولكن أظن لو كنت أعرفها من قبل لتعرفت عليها في الحال.

طرق الباب عدة مرات.

- عم حسني ينبهنا.. يجب أن نخرج الآن لا بد أن حبيبات في طريقها عائدة إلى هنا.. هيا يا مازن أسرع..

استخدم الاسم الدارج بين الطلاب لمحبات والذي يترفع عن استخدامه، إلا أنه يفقد منطقه عندما يتعلق الأمر بليلى، ولا يسعه إلا أن يتبعها دون تفكير. عندما وصلا إلى الباب جاءه صوتها مرتعشًا:

- رماح..

التفت إليها، كانت تعلم جيدًا أن رماح عبقري، غريب الأطوار كما يشاع عنه في المدرسة، وكما كان يدعي أخوها.

- أعرف أنك ذكي أو هكذا يقول مازن.. يجب أن نعرف من قتلها ليأخذ جزاءه.. لا أحدا لا أحد يستحق هذه الميتة البشعة.

أومأ لها رماح وهو يتعجب أن يكون أول طلب لمن تعذب بحبها منذ صغره أن يكشف قاتلًا!

2

وقف الضابط أيمن ينظر إلى الشابة ذات الثمانية عشر ربيعًا، والتي يستند جزعها إلى المرحاض وحولها بركة من الدماء، وسكين مغروز في صدرها الغض، وهو يفكر أي وحش ينهي حياة واعدة لم تكد تبدأ حتى تنتهي. كانت الفتاة ذات شعر بني طويل، ووجه طويل كالسيف، جميل، ولكن لسبب ما لا يتمتع بجاذبية حقيقية. اسمها كما أخبرته ناظرة المدرسة والتي شعر أثناء حديثه معها لفرط رباطة جأشها وكأنها تقابل جثة كل يوم في ردهات مدرستها "زفيدة ناصر أحمد الجباس" في الصف الحادي عشر -والتي تماثل الثانوية العامة لأن المدرسة تعليم دولي- دخل الشاويش عرفة.

- أيمن بيه.. لقد ذهبت مع أحد المعلمين كما أمرتني لنستدعي الطالبة مايا، ولكنها غير موجودة في صفها الدراسي، ويقول الطلاب الآخرون أنها شعرت بالتعب منذ ساعه تقريبًا وقد جاء السائق واصطحبها إلى المنزل بعد أن استأذنت من إحدى المشرفات.

- اغلق المكان وامنع أي أحد من الدخول ولا تبرح مكانك.. لابد أن التلاميذ سيتسابقون للدخول إلى مسرح الجريمة.

خرج الضابط الشاب من مسرح الجريمة متوجهًا إلى مكتب الناظرة التي وجدها تتحدث مع الفتاة التي وجدت الجثة وباب مكتبها مفتوح. وقف على عتبة الباب وتنحنح حتى تنتبها لوجوده.

- الضابط أيمن.. كنت أتساءل أنا وليلى إن لم تكونوا في حاجة إلى التحدث إليها الآن، إن كان يمكنها العودة إلى صفها.

نظرت إليه نظرة تعني أنه من الأفضل له ألا يكون في حاجة للتحدث إلى تلميذتها.

- بالطبع، بضع كلمات فقط من الآنسة...

نظر إلى الفتاة الجميلة مبتسمًا في محاولة منه لتشجيعها وإزالة الخوف عنها.

- ليلى.. اسمي ليلى جمال علوان.

جاء صوتها واثقًا وقويًا على عكس ما توقع.

- إذًا فقد ذهبت إلى الحمام في حوالي الساعة العاشرة، لا أذكر الوقت بالضبط، ولكنه كان في منتصف الحصة الثالثة.. حصة الفيزياء أكثر الحصص مللًا في العالم.

تخيل أنها نظرت إلى ناظرتها بطرف عينيها حتى ترى ردة فعلها وكأنها تستمتع بإغاظتها وتعلم أنها لن تقدر على الاعتراض في مثل هذا الوقت. ابتسم رغمًا عنه من جرأتها ومشاكستها.

- مفهوم، عندما وصلتِ الحمام هل كان الباب مفتوحًا؟

- لا، كان مغلقًا، وعندما دخلت أول ما لفت انتباهي الأقدام الممتدة خارج كابينة الحمام.

- هل تعرفتِ إلى الج... أقصد الفتاة عندما رأيتِها؟

عدل عن استخدام لفظ الجثة مراعاة لمشاعرها، خاصةً في حالة إن كانت تعرف الفتاة.

- لا، لا أظن أني قد رأيتها من قبل.. هل لي أن أسأل عن اسمها؟

للمرة الثانية يندهش من جرأة الفتاة وثقتها في نفسها، كان يعلم أن اسم الفتاة سينتشر عاجلًا أو آجلًا فأراد كسب ثقتها، فأجاب ببساطة:

- رفيدة.. اسمها رفيدة أحمد، طالبة في الصف الحادي العشر.

- أنا في الصف العاشر؛ لذلك لم أعرفها رغم أني أعرف بعض طالبات الصف الحادي عشر، ولكن رفيدة ليست إحداهن.

تنحنحت محبات وهي تؤكد على كلام ليلي:

- احم.. لا عجب في ذلك، رفيدة طالبة هادئة بشكل كبير، حتى أن زميلاتها في الفصل ينسون وجودها معهم في الصف في أحيان كثيرة.. يكاد لا يكون لها أصدقاء على مر السنين إلا مايا كما أخبرتك من قبل.

أومأ لها أيمن ثم وجه حديثه إلى ليلى:

- يمكنكِ العودة إلى فصلك يا ليلى.

خرجت ليلى بعد أن استأذنت الناظرة في العودة إلى منزلها بعد أخذت حقيبتها المدرسية من صفها.

- يمكنكِ الذهاب إلى المنزل بعد أن أتصل بوالدتكِ لأخبرها بالأمر وأتأكد من وجود أحدهم في المنزل لاستقبالك.

- شكرًا لكِ ميس محبات، سوف أذهب لإحضار حقيبتي.

- هيا أسرعي قبل أن يرن جرس الحصة، استغلي الأمر حتى لا يحاصرونكِ بالأسئلة.

خرجت ليلى من المكتب، علق الضابط على كلامها وهو يبتسم:

- أظن أن أي فتاة في مثل عمرها ستستمتع بكونها محط اهتمام الأخريات، وستسعد بحصار الأسئلة ذاك.

- ربما، ولكن ليست ليلى.. فهي ذات شعبية كبيرة في صفها، بل في المدرسة كلها.. هي محط اهتمام طوال الوقت.. إلا أن الأمر مختلف هنا بالطبع، ولكن رغم ما يبدو عليها من ثبات لا بد أن ما مرت به تجربة عصيبة وكل ما تحلم به في هذا الوقت هو حضن أمها.

- بالفعل، لا بد أن هذا صحيح.. هلا أخبرتني عن رفيدة قليلًا! لاحظت أنكِ على دراية ممتازة بطلابك.

- ينبغي لي، وإلا كيف سأنجح في إدارة المدرسة؟ يا للعجب! رفيدة هي النقيض التام لليلي في كل شيء، طالبة هادئة وذات شخصية باهتة ومهزوزة للأسف، وهذا لا يعني أن كل من له شخصية هادئة هو ضعيف أو مهزوز، بعض من طلابي الهادئين يمكنهم أن يشنوا حربًا ويكسبوها وهم يحتسون قهوة الصباح، ولكن هذا هو الحال مع رفيدة.

- أفهم ما تقصدينه.

انتظر في صبر حتى تكمل حديثها عن رفيدة.

- ليس لها الكثير من الأصدقاء، بل في الواقع ليس لديها أي أصدقاء إلا مايا.. مستواها الدراسي أقل من المتوسط؛ ولذلك فهي تكبر أندادها بعام بسبب رسوبها من قبل.. لا أحد يعرفها جيدًا إلا مايا، والتي هي صديقتها منذ الصف السادس، وهي في أغلب الظن

السبب الرئيسي في عدم رسوبها منذ الصف السادس بسبب تعلقها الشديد بمايا.

- يبدو أن مايا لم تأتِ اليوم إلى المدرسة.

كان يعلم أن الأمر لم يكن دقيقًا.

- لا، لقد جاءت، ولكنها شعرت ببعض التعب فاستأذنت للذهاب إلى منزلها.

- لم تكُنِي على علم بالأمر؟

- بلى، لدينا نظام مرن فيما يخص التلاميذ، يمكن للوكلاء والمشرفين الإذن للطلاب بالعودة إلى المنزل إن رأوا ما يستدعي ذلك دون العودة إلي.

- رائع، لكم تغيرت المدارس عن أيامنا.

- بالتأكيد، لم يبقَ شيئًا على حاله.. وهذا لا يعني أننا متساهلون فيما يخص حضور التلاميذ إلى المدرسة وحضور صفوفهم، ولكننا نحاول أن نتبنى نظامًا مرنًا يجمع ما بين الحزم واللين.

- شكرًا لكِ مس محبات، لقد أخذت الكثير من وقتك.. أرجو ألا يزعجك الأمر، ولكننا سنكون مضطرين للتواجد في المدرسة بعض الوقت واستجواب بعض الطلاب بشأن الحادثة.

- إنه طبعًا يزعجني، ولكن ما باليد حيلة! أرجو أن تنتهي التحقيقات سريعًا حتى تعود الأمور إلى طبيعتها في المدرسة ولا يؤثر الأمر على التلاميذ وعلى سير العملية التعليمية.. إنها كارثة من كل

النواحي، ولكن يجب ألا يصبح الأمر أسوأ.. أنت تفهم بكل التأكيد أن الحادثة ستثير ذعر أولياء الأمور بشكل جنوني.

- نعم، نعم.. سنضع كل ذلك في عين الاعتبار ونعمل على الانتهاء من التحقيقات وإلقاء القبض على القاتل في أسرع وقت.. لا بد أن ذلك سيريح بال أولياء الأمور المذعورين على أبنائهم.

- أتمنى ذلك حقًا.

قالت ذلك بطريقة توحي أنها تشك كثيرًا في الأمر، لم يدرِ الضابط قصدها بالتحديد، أكانت تشك في قدرة الشرطة على القبض علي القاتل؟ أم كانت تشك في أن إلقاء القبض علي القاتل سينشر الراحة بين الآباء؟ أم أنها تشك في الأمرين معًا؟

- هل تعلمين ما أستغربه حقًا؟ اختيار القاتل لمسرح الجريمة! طبعًا القاتل هنا للتعميم، فنحن لا نعلم بعد أذكرًا كان أم أنثى، قد تكون الجريمة دون تخطيط مسبق كأن تكون الفتاة قد رأت شيئًا لم يكن يفترض لها أن تراه، ولكن إن كان الأمر مخطط له وهو ما لا نستطيع استبعاده حتى الآن، أليس من المنطقي أن يختار القاتل مكانًا لا يُستخدم كثيرًا؟ لكن الحمام؟! ففي أية لحظة يمكن الولوج إليه من قبل الطلاب.

- نعم، ولكن أمر هذا الحمام خصوصًا مختلف.. كما وأن لا بد قد لاحظت فإنه بعيد تمامًا عن الفصول ولا يستخدم من قبل الطلاب ولا الموظفين.. كان قد أُنشئ حتى يكون قريبًا من الصالة الرياضية، ولكن عندما نقلت تلك صار الحمام مهجورًا نوعًا ما لبعده.. حتى أن معظم مراحيضه فيها أعطال لم نهتم بإصلاحها، ويستخدم الآن

كغرفة تخزين لمستلزمات الحمامات في المدرسة.

- آه مفهوم، ولكن إن كان الأمر كذلك، فلماذا ذهبت ليلى إلى هناك؟

- ربما كان في طريقها وأرادت استخدام الحمام بشدة فاضطرت لاستخدامه، فليس مع أنه بعيد عن المبنى الرئيسي أن الطلاب لا يعرفون بشأنه.

كانت تتحدث وهي ترفع حاجبيها في دهشة وكأنها تستنكر عليه اندهاشه من هذه النقطة.

- ربما، طبعًا.. سوف نعود إليها للتأكد من هذه النقطة في وقت لاحق، سوف أرحل الآن، ولكن سيبقى الحمام مغلقًا بالطبع وعليه حراسة.. آه تذكرت أمرًا.. رأيت أن التلاميذ في المدرسة يحملون هواتفهم، يبدو أن الأمر مسموح به، ولكن رُفيدة لم يكن معها هاتف في حقيبتها ولا في الدولاب الخاص بها.

- بالفعل يسمح للطلاب إحضار هواتفهم، ولكن دون استخدامها داخل الفصول ولا في الردهات، ولكن يمكن أن تكون رفيدة قد تركته في المنزل.. يمكنك التحقق من الأمر من والدتها.

- بالطبع سنفعل ذلك، شكرًا لكِ أستاذة محبات.

عاد مازن إلى البيت بعد انتهاء اليوم الدراسي، حاول أن يستأذن للذهاب إلى البيت مع ليلى باكرًا لأنه كان يشعر بالقلق الشديد عليها، ويود التحدث معها ومعرفة كل شيء بخصوص الحادثة، ولكن بروفيسور جورج معلم اللغة الإنجليزية رأى أن الأمر غير ضروري، خاصة أن أمهما قد جاءت بنفسها لاصطحاب ليلى إلى البيت عندما

علمت بالأمر. عندما فتحت له الخادمة أخبرته أن أمه في المطبخ، كانت تتحدث في هاتفها المحمول بصوتٍ منخفض قليلًا، قاطعها دون أن يهتم بذلك كثيرًا:

- أين ليلى؟ أمي أين ليلى؟ هل هي نائمة؟

- نعم يا مازن.. وأرجو ألا توقظها لأن الطبيب قد وصف لها دواءً مهدئًا وأريدها أن ترتاح قليلًا بعد ما مرت به، خذ أباك فهو يريد التحدث إليك.

أخذ الهاتف، وكما توقع شدد عليه أبوه ألا يوقظ ليلى، وحاول معرفة مزيدًا من المعلومات منه عما حدث، ولكن ظنه قد خاب عندما وجده لا يعلم أكثر مما نقلته له والدته.

كان يعلم أن كلًا من والديه شددا على ألا يوقظ أخته، ولكن حدسه الأخوي يخبره أن ليلى ليست نائمة، وأنها في انتظاره للتحدث معه على الرغم من أنها لم تخرج من غرفتها عندما سمعت جرس الباب عند دخوله، والذي يسمع جيدًا في غرفتها، ولكن أغلب ظنه أنها تريد التحدث إليه على انفراد دون تدخل من والدتهما. طرق باب غرفتها ودخل، عاجلته بلهفة من تحت غطاء سريرها:

- مازن.. أخيرًا عدت! لماذا تأخرت هكذا؟ أخبرني ما الأخبار؟ ماذا حدث بعد ما رحلت عن المدرسة؟

- كنت أتحدث مع رماح وطال بنا الحديث دون أن نشعر، لم يحدث جديد.. الأخبار كلها عندك وكأنكِ تحتاجين إلى مزيد من الشهرة، المدرسة كلها تتحدث عن ليلى علوان التي وجدت جثة في حمام

المدرسة.

كانت أخته بالفعل تتمتع بشعبية كبيرة في مدرستهم، ولكم أزعجه الأمر. لم يحب أن تكون أخته مدار الحديث بسبب جمالها وجاذبيتها، فهي الفتاة ذات الشعر الأسود الطويل المموج والعينين الواسعتين ذات السواد الفحيم الذي يتناقض بصورة ساحرة مع بياض بشرتها الشاحب، لكم هو مزعج أن تكون أختك فتاة أحلام كثير من زملائك وأصدقائك. لم ينتبه لجمال ليلى قط إلا بعد أن سمع بعض الأولاد قدرًا يتغزلون بها بطريقة وقحة كانت السبب في كسر عظامهم وفصله من المدرسة بضعة أيام، لكنه لم يكن نادمًا على أية حال رغم ما ناله من والديه من توبيخ وتقريع. لم يفصح يومها عن سبب الشجار معهم لأي أحد، كان يعلم أن الأمر ليس بيدها. وعلى الجانب الآخر كانت تتمتع بأخلاق واستقامة جعلها بعيدة المنال عن أي انحراف وأي لغط والذي ينتشر بين طلاب المدرسة، ولكن هذا جعله يشعر دائمًا بالخوف عليها والرغبة الشديدة في حمايتها من كل الأعين المتربصة بها. ارتاح كثيرًا عندما أخذت قرارها هذا العام بالحجاب، ولكنه كان يعلم أن الأمر لم يكن سهلًا في مدرسة أغلب طلابها نشأوا في بيوت لا تعلم عن الحجاب شيئًا، بل وقد يوجد من يعاديه جهارًا نهارًا، يعلم أنها قد مرت بالكثير من المضايقات من بعض ممن لا يحبون الأمر وحتى إن كانت مضايقات مستترة، فقد وجدت طريقها إلى قلب أخته الرقيق وإن ادعت غير ذلك وهزت ثقتها التي طالما تمتعت بها. كان يخشى أن تتراجع عن قرارها بسبب تلك المضايقات؛ ولذلك كان يحاول أن يدعمها ما أمكنه دون أن تشعر. انتشلته من أفكاره وهي تقول بخبث طفولي:

- إنني أنتظر مكالمة من أخت نادين صديقتي، أختها مع رفيدة في الصف.. لا بد أن يكون عندها معلومات عن رفيدة.

- ليلى.. لماذا تقحمين نفسك في أمر كهذا؟ ما الذي تنوين عليه؟

- لماذا أقحم نفسي في أمر كهذا؟! مازن.. لقد أقحمت فيه بالفعل دون رغبة مني، وإن كنت تظن أن الشرطة لن تشتبه بي لمجرد أني قاصر فأنت واهم، لم ترَ كيف وجه لي الشرطي الأسئلة عندما كنت في مكتب مس محبات؟ كما أنني أريد أن ينال من فعل ذلك بتلك الفتاة المسكينة جزاءه.. أنت لم ترها، كيف أصبحت كالصخر دون حياة.. كما أنك تحلم بأن تصبح شرطيًا يومًا ما، يمكنك أن تبدأ من هذا.

ابتسمت ابتسامتها الساحرة مستعطفة إياه، فرغم كل شيء هي تريد دعمه ومساعدته لأنها تعلم أن الأمر خطير حقًا. سكت برهة حتى يهضم كل ما قالته له، ثم هز رأسه في تسليم قائلًا:

- مهما قُلت لك لن يُغَير رأيك، ولكن عِديني بأمر واحد.. لا تفعلي شيئًا إلا بعد اطلاعي عليه.. ليلى الأمر ليس لعبة مسلية، هناك قاتل حر قتل فتاة بدم بارد، لن يتردد في أن يقتل ثانية أن أحس بالخطر.. لا يجب أن يعلم أحدٌ بما أنت وراءه.. لا أحد سواي ورماح.

- رماح! هل أبدى موافقته على التقصي والبحث عن القاتل؟

- رماح عبقري كما تعلمين.. عقله يعمل بسرعة لم أرها من قبل.. كان يكرر عليّ منذ قليل مخاوفه من اشتباه الشرطة فيكِ.. هو أيضًا سيسعى وراء القاتل.

- حقًا! ظننت أنه لن يلقِ بالًا للأمر رغم طلبي منه المساعدة.

- أنتِ أخت أعز أصدقائه، بمعنى أدق صديقه الوحيد الذي تحمل سوء طباعه وكرهه الجبلي لأي بشري، طبيعي أن يهتم كما أنه يقول أنه يريد أن يختبر ذكاءه الذي طالما يتبجح به، وأظنها مناسبة جيدة لنرى بوضوح مدى صدقه، وإن كنت أعلم أنه عبقري بالفعل.

لم يكن ليخبرها بحقيقة أن رماح وإن حاول جاهدًا إخفاء الأمر عنه معجب بها منذ الطفولة، كان الأمر يزعجه في أحيان كثيرة عندما يرى ارتباكه إذا حدث أن مرت بهما، أو تجاذبت أطراف الحديث مع مازن أمامه.. قد يبقى في تخبطه حتى بعد أن تذهب، وازداد الأمر سوءًا مع دخولهما سن المراهقة، ولكن بعد فترة تحول انزعاج مازن إلى شفقة تجاه رماح عندما يرى حزنه وإحباطه بسبب تجاهل ليلى له. الحقيقة أن ليلى لم تكن تتجاهله لأنها لم تكن تراه من الأساس سوى صديق مازن غريب الأطوار.

رن جرس الهاتف، نظرت ليلى إلى مازن وقد فتحت عينيها على اتساعهما في إثارة ثم قالت:

- إنها نادين!

فكر في نفسه أنها كالطفلة التي وجدت لعبة مشوقة، وهذا يشعره بالخوف أكثر عليها. ردت وهي تحاول إخفاء إثارتها:

- نادين.. كيف حالك؟ ظننت أنكِ نسيتِ الأمر، هل أنهت ليان درسها؟ جيد.. أهلًا ليان.. كيف حالك؟ أنا لا أصدق ذلك أيضًا! كأننا في فيلم سينمائي.. انظري أخي أيضًا يشعر بالفضول حتى يعرف المزيد عن

رفيدة.. هل يمكنني أن أفتح مكبر الصوت ويتحدث معنا.. نعم هو ذلك الرياضي الوسيم.. نعم اسمه مازن.

رفت بعينيها رفة سريعة نكاية بمازن.. فتحت مكبر الصوت فانطلقت ليان تقول:

- أهلًا مازن، إذًا ماذا تريدان أن تعرفا؟ الحقيقة أنني لم أكن صديقة لرفيدة.

- ولكن يمكنكِ أن تخبريني كيف كانت رفيدة؟

- هادئة وانطوائية.. لا تتحدث كثيرًا إلا مع مايا صديقتها الوحيدة والمقربة، حتى وإن تحدثت فصوتها لم يكن يسمع وكأنها لا تريد أن تُرى أو تُسمع.

- كيف كانت صداقتهما؟

سألها مازن في فضول واضح.

- لا أعلم كيف أصفها! ولكنها صداقة غريبة، فمايا فتاة محبوبة جدًا وممتلئة بالنشاط والحيوية، لديها أصدقاء كثيرون نقيض رفيدة في كل شيء، لا أفهم كيف يصبح اثنان مثلهما أصدقاء! ناهيك عن كونهما مقربتين.. أعتقد أنه كان لمايا اليد العليا في صداقة كهذه. هل تفهمان قصدي؟

- لا، ماذا تعنين؟

كان مازن هو من وجه لها السؤال.

- كانت تبدو وكأنها تسيطر علي رفيدة قليلًا.. انظر حقًا لست مقربة

من أيهما، ولكن هذا ما كان يبدو عليه الأمر. وأظن أن هذا طبيعي نوعًا ما، ولكن كل هذا قد تغير منذ أشهر قليلة.

- ماذا تعنين؟

- يبدو أنهما اختلفا على أمر ما.. حدث الأمر في المدرسة على مرأى ومسمع الكثير من الطلاب. لم أحضر الموقف، ولكنهم حكوا لي أن جدالًا وقع بين الاثنتين، ثم تحول إلى شجار عنيف بينهما.. كانت رفيدة منهارة تمامًا ومايا تصرخ فيها وتخبرها أنها لا تريد أن تعرفها أو أن ترى وجهها ثانية.. قالت لي إحداهن أن مايا قد دفعت رفيدة على الأرض وكانت لتضربها لولا تدخل المعلمين للحول بينهما ونهر الاثنتين عن التمادي في الأمر، بعد هذا الشجار تغير الأمر بينهما، ولم يغدا كما كانا، بل أنهما لم يكونا ليلقيا التحية على بعضهما، وقد بدا أن مايا هي التي اتخذت هذا القرار، وكانت رفيدة على تقبله، وبدا أنها تسعى لإصلاح الأمر مع مايا، ولكنها بدت رافضة لأي محاولة للصلح من جانب رفيدة، ولكن أخبراني لماذا تهتمان بالأمر؟

أجابت ليلى سريعًا:

- لأنني رأيتها ميتة.. كل ما في الأمر أنني أشعر بالفضول والشفقة نحو الفتاة المسكينة.

- إن أمي خائفة جدًا عليّ وتكرر على مسامعي أنه لا يجب أن أعود إلى المدرسة، ولكن أبي يرى أنه لا يمكن نقلي في منتصف العام الدراسي، وكل ما عليّ فعله أن آخذ حذري، ثم سنرى العام القادم.

- إن الأمر مخيف حقًا.

- لا أعرف إن كنت أشبعت فضولكما، ولكن هذا هو كل ما لدي.. عذرًا يا ليلى، يجب أن أذهب الآن.. سعدت بالحديث معك يا مازن.

أغلقت ليلى المكالمة بعد كلمات الوداع والثناء، ثم نظرت إلى مازن وهي تقول بذهن شارد:

- إذًا، فقد حدث بين رفيدة ومايا شجارًا كبيرًا وانتهت الصداقة بينهما على ما يبدو.

- نعم، ولكن هذا يحدث كثيرًا بين الفتيات.. هذا أمر طبيعي.

- نعم، ولكن ما ليس طبيعيًا أن يقتل إحداهن.. وإن أخذنا في الاعتبار سنوات صداقتهما الطويلة والطريقة المدوية التي أنهيا بها صداقتهما يبقى...

قاطعها مازن بابتسامة حيث أنه وجد خيطًا أخيرًا:

- أن نسأل ما الأمر الذي اختلفت عليه الفتاتان؟

- بالضبط، يجب أن نعرف.

- وحتى نعرف يجب أن نتحدث إلى مايا بشأن ما سمعنا، يجب أن تحاولي التحدث إليها غدًا.

- ولماذا لا يجرب أخي الرياضي الوسيم التحدث إليها؟ سيكون الأمر يسيرًا عليه مع سحره الأخاذ.

- لا، فحدسي يقول لي أن مايا ليست من النوع الذي يأسرها سحر الفتى الرياضي الوسيم.

- وسيم؟! عمن نتحدث هنا؟! لا أرى أي فتى وسيم.

ابتسم مازن غير آبه بمضايقاتها ثم قال:

- إذًا، سنرى في الغد.

3

لماذا أخبرت ليلى أننا نسعى في البحث عن القاتل؟ كيف تقحمها في أمر كهذا؟ أي أخ مسؤول يفعل هذا أيها الأحمق؟!

كان رماح يشعر بالدم يغلي في عروقه منذ أن أخبره مازن بكل ما حدث البارحة مع ليلى وما قصته عليهما ليان. غض الطرف عما قالته فريدة، ولم يعلق عليه بسبب انزعاجه الشديد من مازن:

- أنت لا تعرف ليلى.. إذا قالت أنها ستبحث في الأمر فلن يثنيها شيء، مهما قلت لها، خشيت أن أسد الطرق في وجهها فتأخذ الأمر على عاتقها دون أن تستشيرني وتورط نفسها فيما لا يحمد عقباه! هذا أفضل لها.. لا تظن أنك تعرف مصلحة ليلى أكثر مني.

- أنا لا أظن ذلك، ولكنك تتصرف أحيانًا بحمق.. هل أكدت عليها ألا تُخبر أحد بما تفعل؟

- أكيد، ستحاول اليوم الحديث مع مايا عن رفيدة دون أن تثير شكوكها.. عامةً لا أظنها الوحيدة التي ستحاول ذلك، فالجميع يشعر بالفضول لمعرفة المزيد، وستجد مايا نفسها محاصرة بالفضوليين، إلا أنه كان يعلم أن ليلى غير قادرة على فعل أي شيء في الخفاء.. كانت تجعل كل شيء صاخبًا مثلها تمامًا.

ازدرد ريقه بصعوبة عندما مرت الفكرة بخلده، رمقه رماح بنظرة موبخة وكأنه يسمع ما يفكر فيه. كانت صداقته برماح أقوى مما يظن الكثير. كان رماح يتجنب الصداقات والناس بوجه عام، ذلك أن رماح يحب الكتب والعلوم أكثر من أي شيء آخر.. إلا أن مازن

استطاع منذ الصغر أن يقتحم عالمه ويجبر رماح على أن يكون صديقه. حاول رماح قديمًا صده كثيرًا إلا أن شيئًا لم يكن ليوقف مازن. كانا النقيضين فلدى مازن أصدقاء كثيرين كعدد شعر رأسه، إلا أنه لا يثق في أحد ثقته في رماح. كان يعلم أنه من الخارج يبدو صديقه باردًا لا مباليًا، إلا أنه يعلم صدق مشاعر رماح تجاه من يهتم بهم حقًا.

عندما دق الجرس الأخير الذي يعلن انتهاء اليوم الدراسي، شعر كلًا من رماح ومازن بالراحة أخيرًا. التقيا بليلى عند بوابة المدرسة. أقبلت على مازن وقد بدا على وجهها الجميل التجهم قائلة في غضب:

- لم تأتِ مايا اليوم.

- طبيعي، لا بد أن الأمر شكل لها صدمة كبيرة.

كان رماح هو من تحدث. نظرت إليه ليلى وانتبهت إلى وجوده.

- آه أهلًا رماح، أخبرني مازن أنك قبلت أن تساعدني.

قاطعها قبل أن تكمل جملتها:

- المكان ليس مناسبًا للحديث.

شعرت بالانزعاج من طريقته الفظة معها، على الرغم من أنهم بالفعل كانوا محاطين بالتلاميذ العائدين إلى بيوتهم من كل اتجاه حولهم. تجاهلته والتفتت إلى مازن وقالت وهي تخفض صوتها وتبتعد عن حشود التلاميذ ويتبعها الاثنان:

- أو أن هناك ما تخفيه ولا تريد لأحد أن يعلمه؛ لذلك لم تأتِ اليوم حتى تنأى بنفسها عن الأسئلة.

- ما تقولينه سابق لأوانه، إنكِ تقفزين في استنتاجاتك.

لم ينظر إليها وهو يتحدث، على الرغم من صداقته الطويلة بمازن لم يكن معتادً على الحديث مع ليلى. وكانت مشاعره تجاهها تزيد الأمر سوءًا، فيزداد توتره في وجودها ويلبس قناع السخافة والبرود لعله يخفي تخبطه واضطرابه، فيبدو كل ما يقوله سخيفًا باردًا.

قالت وهي تشعر بالحنق تجاهه لانتقاده المستمر لها:

- يجب أن نذهب إليها في بيتها، فقد تتغيب مايا لأسابيع عن المدرسة بحجة صدمة ما حدث لصديقتها.

قاطعها مازن:

- ما الذي تقولينه؟ سنظهر أمام عتبة بيتها ونقول لها "أهلًا مايا، هل أنتِ من قمتِ بقتل صديقتك؟ أو أنكِ تعرفين من قتلها؟ يا لها من زيارة ممتعة!

- أحب أن أستمع إلى أفكارك النيرة يا أخي العزيز.

ازداد حنقها بعد أن انضم مازن إلى نادي التسفيه من رأيها.

- ليلى على حق يا مازن، يجب أن نذهب إلى مايا، فنحن لا نعلم إلى متى سيطول غيابها بالفعل، ولكن الأفضل طبعًا أن تذهب ليلى إليها وتدعي أنها صديقتها حتى تقابلها، ولكن المهم الآن كيف سنعرف عنوان بيتها!

كان يخشى لحظه أن تتجه الشكوك إلى ليلى، ويشعر أنه في سباق مع الزمن، لعله واهم في هذه المخاوف أو أن مشاعره تجاهها تحط من قدر عقله ومنطقه وتجعل الغلبة لقلبه.

- لا تقلق، لقد تكفلت بالأمر وأخذته من إحدى الصديقات المشتركات بيننا التي تذهب إلى بيتها لتحضر درس معها.

كانت تشعر بالزهو بعد أن كف عن انتقادها ودعمها أمام مازن الذي اعتادت على سخافاته بحكم الأخوة التي بينهما.

- ليلى.. أعرف أن مازن أخبرك أن تحتاطي وأن تكتمي أمر بحثك، وها أنا أكرر عليكِ الأمر.. في النهاية هناك قاتل.

- ولن يتردد في القتل ثانية ليحمي نفسه، أعرف ذلك.. لا تخافا! إنني في غاية الحذر. ابتسمت لهما ابتسامة مطمئنة لم تنجح سوى في إثارة ذعريهما أكثر. نظر الاثنان إلى بعضهما في خوف، قالت بسرعة حتى تغير الموضوع بعد أن شعرت بتعاظم خوفهما:

- مازن.. لابد أن تتصل بأمي وتخبرها أننا سنذهب معًا لتناول الغداء في الخارج، أخبرها أنك اخ صالح وتريد أن تخفف عن أختك المسكينة التي عانت من مشهد جريمة قتل مروع.

بعد أن اتصل مازن بوالدتهما والتي فرحت كثيرًا من شعور مازن النبيل تجاه أخته، وأحست أخيرًا بأنها تجني ثمار تربيتها لهما، حتى أن مازن شعر بتأنيب الضمير بسبب إهماله تلك التفاصيل الصغيرة التي تسعد كلًا من أمه وأخته، فهو لا يخفى عليه تلك النبرة الساخرة التي ظهرت في حديث ليلى منذ قليل والتي تجاهلها.

انطلق ثلاثتهم إلى أحد مطاعم الوجبات السريعة، وأخذوا السندوتشات ليأكلوها في طريقهم، عندما وصلوا للعنوان الذي أخذته ليلى، كانوا تحت بناية ضخمة وفخمة في أحد أرقى شوارع القاهرة.

انتظر مازن ورماح قريبًا من البناية وشاهدوا ليلى وهي تتحدث إلى حارس الأمن الذي ابتسم لها وأشار إلى أحد المصاعد الكهربائية.

صعدت ليلى في المصعد المغطى بالمرايا من كل اتجاه، عدلت من وضع حجابها وملابسها وأخذت نفسًا عميقًا وحاولت التفكير فيما ستقوله، ولوهلة شعرت بالذعر وسألت نفسها: "ما الذي تفعله في هذا المصعد؟ وماذا ستقول لتلك الفتاة التي لا تعرفها؟" ولكن في هذه اللحظة توقف المصعد وفُتح بابه، فاستجمعت شتات نفسها وشجعت نفسها ونظرت في أرقام الشقق حتى اهتدت إلى الشقة التي دلها عليها حارس الأمن. فتحت لها الباب خادمة أجنبية ونظرت إليها في صمت وهي تبتسم، بادلتها ليلى الابتسام ثم قالت:

- أنا ليلى صديقة مايا في المدرسة.

هزت رأسها ثم تحدثت بالإنجليزية:

- I'm a friend of Maya at school and I'd like to see her.

تمنت أن تكون قد فهمتها لأنها تعلم من خلال خبرتها أن بعض هؤلاء الأجنبيات لا يجيدون حتى الإنجليزية، ولكن الفتاة ابتسمت لها في ود وأفسحت لها الطريق. قادتها إلى صالة استقبال واسعة وفخمة يغلب عليها اللونان البني والذهبي، ثم قالت لها:

- one minute, I will tell her. Sorry, what's your name again?

- Layla

تمنت في سرها أن تكون لمايا صديقة اسمها ليلى، فقد خافت أن ترفض مقابلتها. جلست تتمعن في صالة الاستقبال الفسيحة وهي تفكر أن لمايا أبوان في غاية الثراء حتى بالنسبة لطلاب مدرستهم الذين يوصفون في الطبيعي بالثراء. خرجت مايا وكانت كما تتذكرها من المرات القليلة التي رأتها فيها. فتاة متوسطة الطول، ذات شعر بني مجعد، تتركه أغلب الوقت يحيط بوجهها الجميل. بدا على وجهها الحيرة وهي تجلس قبالتها بعد أن حيتها في حيرة وقلق واضحين. أخذت ليلى بزمام الحديث:

- يبدو أنكِ لا تتذكريني! لقد كنا معًا العام الماضي في مخيم الصيف، كنا معًا في فريق واحد في المسابقات النهائية.

- آه، كنتِ الفتاة التي أمسكت العلم في النهاية وفزنا، ولكنكِ كنتِ من غير حجاب.

- نعم، لقد ارتديته هذا العام فقط.

غمرت ليلى الراحة عندما تذكرتها وكست وجه مايا ابتسامة واهنة.

- آسفة لما حدث لصديقتك، كنت أنا من وجد الجثة.

امتقع وجه مايا وذهبت عنه الابتسامة.

- حقًا، لا بد أن الأمر مروع.

- فظيع، كنت أتساءل هل شعرت أن رفيدة غريبة هذا اليوم؟ هل بدا عليها القلق؟ هل حدثتكِ بشيء تنتظره؟

- الحقيقة أنني لم أرَ رفيدة، ولم أتحدث معها هذا اليوم.

- ربما لاحظت عليها أمرًا غريبًا في الأونة الاخيرة؟

ألقت هذا السؤال لاستدراجها للحديث عن جدالهما.

- لا لم ألحظ شيئًا، على كل الأحوال لم تهتمين بالأمر؟

- مجرد فضول، ألا يكفي أني تعثرت بالجثة في صباح أحد الأيام؟

لم يبدُ على مايا الاقتناع، واكتسى وجهها بالشك فأردفت ليلى سريعًا:

- سمعت أن جدالًا شديدًا حدث بينكما في المدرسة.

- يا لا النميمة البغيضة، كان مجرد جدالًا بين صديقتين.

- ولكنه كان بالقوة التي أنهت صداقتكما.. سمعت أنكما...

- أرى أنكِ تتدخلين فيما لا يعنيكِ.. اسمعي هذا أمر خاص بي، ورفيدة ولا أريد التحدث عنه. شكرًا على زيارتكِ التي لا أعرف القصد منها حتى الآن.

بعد دقائق قليلة كانت الخادمة الأجنبية تقود ليلى إلى الباب. وقفت ليلى أمام الباب المغلق في وجهها وهي تفكر أنها لم تصل إلى أي جديد من هذا الحديث سوى أنها أثارت المزيد من الشكوك حول طبيعة أسئلتها، ولكنها تعلم الآن أن مايا تخفي أمرًا ما وأغلب ظنها أن له علاقة بالجريمة. عندما خرجت من البناية الفخمة أدارت رأسها

يمنة ويسرة بحثًا عن مازن ورماح، لكن لم يحالفها الحظ. شرعت في الاتصال بمازن، أجابها مازن:

- إننا في انتظارك عند مفترق الطرق الذي جئنا منه.. كان حارس الأمن يرمقنا بارتياب فابتعدنا قليلًا.

بادرتهما عند رؤيتهما:

- لم أصل إلى أي جديد، ولكني متأكدة الآن أن مايا تخفي أمرًا ما.

قصت عليهما كل ما حدث.

- لقد أخفتيها يا ليلى! حاصرتيها بالأسئلة وكأنكِ محقق من الشرطة.

زفر مازن بغضب:

- أليس هذا المطلوب؟!

- لا، المطلوب أن تتجاذبي معها أطراف الحديث كصديقتين.

- لسنا صديقتين أيها العبقري.

- كفى يا مازن.. لقد فعلت ليلى أقصى ما لديها.

كان رماح يحاول وأد المشاجرة الوشيكة بين الأخوين. التزم ثلاثتهم الصمت في طريق العودة داخل سيارة الأجرة، وبدا على ليلى الضيق الشديد، رغم دفاع رماح عن موقفها إلا أن جملته رسخت بداخلها انطباعا بأنها أساءت التصرف بشكل ما. قطع الصمت نحنحة مازن والتي أعقبها بسؤال:

- هل تعلمان ما الذي أفكر فيه الآن؟ ما الذي كانت تفعله رفيدة في

هذا الحمام؟ الكل في المدرسة يعلم أن معظم مراحيضه معطلة، وكثيرًا ما يقطعون عنه الماء.. لا بد أنها كانت هناك لسبب ما.

- حقًا! أنا مثلًا لا أعلم هذه الحقيقة.. إذًا لماذا ذهبت إليه يا ليلى؟

كان ينظر في المرآة الأمامية والتي يظهر فيها جانب من وجهها. لم تجب ليلى، وبدت أنها منشغلة في أفكارها الخاصة.

- ليلى! ليلى.

- ماذا؟

أفاقت ليلى من شرودها على صوت مازن.

- كنا نتساءل لماذا ذهبت إلى ذلك الحمام؟

- لأنه مهجور.. كنت أريد أن أختلي بنفسي لأستكمل آخر فصول رواية " لا أرى إلاكِ" التي كنت أقرأها، فقد كنت متشوقة لمعرفة نهايتها، وهروبًا من حصة الفيزياء المملة. لحظة أخرى في هذه الحصة وكنت سأرتكب جريمة ضد بروفيسور دانيال.

أخرجت لسانها في امتعاض واضح.

- هذا ما يحدث عندما تقررين دراسة المواد العلمية.

- لا أعرف لماذا عليّ دراسة الفيزياء لأكون مهندسة معمارية! إنه غباء.. أغلب الجامعات في الخارج لا تشترط دراسة الفيزياء للمعماريين.

- ربما علينا زيارة والدة رفيدة.. هل تستطيعين الحصول على عنوانها أيضًا؟

قطع رماح حديثهما الشيق عن الفيزياء، فتفاجأت ليلى قليلًا من الانتقال السريع لموضوع الجريمة ثانية وترددت، ثم قالت:

- دعني أحاول أن أحصل عليه غدًا.. لا أظن أن ذلك سيكون صعبًا.

توقفت سيارة الأجرة ونزل كلًا من مازن وليلى، واستكمل رماح رحلته إلى بيته وهو يفكر في أمر الحمام المعطل. لا بد أن تكون قد ذهبت إليه لسبب وليس من قبيل الصدفة. لا بد أن يعرف السبب!

4

لم تستطع ليلى الحصول على عنوان بيت رفيدة بسهولة كما توقعت؛ وذلك لسبب بسيط أن أحدًا لم يذهب قط إلى بيتها، فهي لم يكن لها أصدقاء، ولم يحدث قط أن دعت أحدًا إلى حفلة عيد ميلادها كما هو معتاد بين الطلاب، ولا حتى على سبيل التشجيع على عقد صداقات معهم، لكن ليلى لم تكن لتستسلم بسهولة، فقد استطاعت رشوة إحدى الموظفات الشابات في شؤون الطلبة بأحمر شفاه يبلغ ثمنه مئات من الجنيهات لتحصل على العنوان، وعندما ترددت الفتاة قالت لها:

- لدي أيضًا كريم أساس من ماركة فخمة لا أريده، يمكنكِ الحصول عليه، سيكون رائعًا مع درجة بشرتك.

حسمت الأمر بهذا العرض، على الرغم من صوت تحطم قلبها الذي سمعته بوضوح، إلا أنها كانت سعيدة أنه في نهاية اليوم الدراسي، بين يديها ورقة تحمل عنوان بيت رفيدة. لوحت بالورقة في وجه مازن الذي كان ينتظرها هو ورماح عند بوابة المدرسة كما اعتادا في الفترة الأخيرة. قالت في زهو:

- حصلت عليها بشق الأنفس بعد رشوة إحدى الموظفات.. متى سنذهب؟

نظر رماح ومازن إلى بعضهما ثم قال مازن:

- أظن أننا سنذهب بمفردنا.. لا يوجد داعي لذهابك.

شعرت ليلى بالغضب الشديد وقالت:

- لم نتفق على هذا! إذا كنتما ستذهبان بمفردكما فاحصلا على العنوان بنفسيكما.

أخفت الورقة في كفها وحملقت فيهما في عناد وتصميم. كسبت ليلى المعركة قبل أن تبدأ حتى. واتفقوا ثلاثتهم على العودة إلى منازلهم وعمل فروضهم المنزلية، ثم الذهاب إلى منزل رفيدة.

استقلوا سيارة أجرة بعد عدة ساعات قضوها في حل فروضهم المنزلية، أبحرت بهم السيارة في شوارع لأول مرة يروها. لم يكن عنوان بيت رفيدة مألوفًا لهم حتى أن مازن تساءل بسخرية:

- هل هذا العنوان في القاهرة أم أنه في محافظة أخرى؟

ولكنهم عندما كتبوا العنوان على جوجل تبين أنه في القاهرة بالفعل، وأدركوا جهلهم حتى أنه لم يكن بعيدًا جدًا عنهم. كانت الشوارع ضيقة وملتوية ومكسرة حتى أن ليلى أخذت تتعبت كل عدة دقائق على تطبيق الخرائط أنهم يمشون في الاتجاه الصحيح. في النهاية وقفت بهم السيارة في شارع ضيق بالكاد يتسع لسيارة واحدة أمام بيت مكون من ثلاث طوابق وتحته محل لبيع الطيور ويقابله محل للعجل.

- هذا هو العنوان!

أخبرهم السائق بغلظة عندما شاهدهم لا يتحركون. نظر الثلاثة إلى بعضهم، ثم ترجلوا من السيارة بعد أن دفعوا للسائق أجرته. تساءلت ليلى في حيرة:

- ألهذا السبب لم تدعُ رفيدة أيًا من صديقاتها من قبل؟ لا أكاد أصدق

مدى التناقض بين هذا العالم وعالم مايا؟ كلما مر الوقت أتساءل كيف لمايا ورفيدة أن تكونا صديقتين فضلًا عن كونهما مقربتين؟

- نحن لا نعلم رقم الطابق ولا الشقة! يجب أن نسأل أحدهم.

نظر رماح حوله. كانت هناك امرأة تلبس جلبابًا أسود، وتجلس أمام محل الطيور على كرسي خشبي وترمقهم بعين خبيرة. اقتربت منها ليلى بلهجة ودودة وابتسامة مرتسمة على وجهها لا تخلو من الحذر:

- السلام عليكم.. هل من الممكن أن تدليني على بيت رفيدة أحمد؟ نحن أصدقاؤها في المدرسة جئنا لنزور والدتها بعد ما حدث.

- أهلًا أهلًا.. ثريا المسكينة في الطابق الثاني، الشقة على يمين السلم.

وكأن المسكينة ينقصها مصائب، قبل أن تقول ليلى أي شيء انطلقت صرخة استغاثة من البناية التي يقفون تحتها، جعلت المرأة تنظر للأعلى وتصيح:

- هذا النذل يضربها مرة أخرى.. اتبعوني لأطمئن على المرأة المسكينة.

تحركت سريعًا داخلة إلى البناية وهم يتبعونها، وقفت أمام باب شقة وطرقته بقوة وهي تصيح:

- ست ثريا.. هناك ضيوف يسألون عنكِ!

طرقت الباب مرة ثانية بقوة أكبر.

- يا ست ثريا.. ست ثريا.

بعد دقائق معدودة وعدة صيحات مكتومة من الداخل فتحت لهم امرأة في الخمسين من عمرها شعرها أشعث قليلًا، ووجهها محتقن بالدماء. قالت وهي ترتب شعرها المبعثر:

- أهلًا يا أم سيد.

تسللت نظراتها إلى ثلاثتهم، فأردفت أم سيد موضحة:

- أصدقاء رفيدة في المدرسة جاءوا ليطمئنوا عليكِ، فيهم الخير.. هل تريدين مني شيئًا؟

- لا، شكرًا يا أم سيد.. تفضلوا بالدخول.

بدت الحيرة والتردد على وجهها وهي تدعوهم للدخول، ثم أفسحت لهم الطريق. قبل أن يدخلوا انطلق رجلًا مسرعًا من داخل الشقة دافعًا المرأة عن قصد في كتفها وهو في طريقه للخروج. صاحت به أم سيد غاضبة:

- سلام قول من رب رحيم.. وعليكم السلام يا عم هاني.. لا حول ولا قوة إلا بالله. ربنا يهدي.. سوف أتركك مع ضيوفك يا ست ثريا. صابر لم يأتِ اليوم وقد تركت المحل عندما سمعتكِ تصرخين.

نزلت أم سيد وهي ما زالت تتمتم بكلمات غير مفهومة.

- مع السلامة يا أم سيد.. تفضلوا، تفضلوا بالدخول.

تقدمتهم ليلى ودخلت. كانت الشقة ضيقة ورثة، ولكنها تبدو نظيفة. أدخلتهم إلى صالة صغيرة بها أريكة رثة ومقعدين قد سقط داخلهم وتقرحت أياديهم:

- عذرًا لحال الشقة، لم أتوقع قدوم أحد.. لم يكن لرفيدة أصدقاء كثيرين، ولم نعتد أن يزورنا أحدهم.

- لا عليكِ يا أستاذة ثريا، الحقيقة أننا لسنا أصدقاء مقربون لرفيدة، لم نكن نعرفها قبل ما حدث.. من يومها ونحن لا نفكر إلا في شيء واحد: "أن ينال قاتل رفيدة جزاءه وأن تنالي أنتِ راحة القصاص من قاتلها؛ لذا جئنا إليكِ لعلك تستطيعين تسليط الضوء على تفاصيل أو معلومات تقربنا إلى كشف الحقيقة.

كان رماح ينظر مباشرة إلى عينيها، وظهرت الثقة في كلامه وعلى وجهه التصميم.

تنهدت ثريا تنهيدة عميقة وابتسمت ابتسامة واهنة ثم قالت:

- الحقيقة أن رفيدة لطالما كانت كتومة جدًا، لا تتحدث كثيرًا.. لم أعلم لها صديقة سوى فتاة واحدة اسمها مايا، لم أكن أحبها كثيرًا.. فتاة ثرية مدللة ومتعجرفة، لطالما ظننت أنها تسيطر على رفيدة وتؤثر عليها بالسلب، ولكنها كانت صديقتها الوحيدة.

- سمعنا أنهما تجادلتا قبل أشهر قليلة من الحادثة، هل تعلمين السبب؟

- للأسف لا أعلم، لأول مرة أسمع بهذا الأمر.. للأسف لم نكن مقربتين.

تنحنح مازن وسألها في حرج:

- أتمنى ألا تنزعجي من سؤالي، ولكن مدرستنا باهظة التكاليف، ما أقصده هو... أعني...

تلجلج مازن وبدا على ليلى الغضب، ولكن رماح نظر إلى ثريا وهو موقن أن المرأة قد فهمت مقصد مازن؛ لذلك لم يجد داع للتوضيح، وانتظر تفسيرها للأمر في صمت. تحدثت وهي تقلب بصرها بينهم:

- طبيعي أن تتساءلوا عن الأمر.. زرقت بزفيدة بعد أن تزوجت من رجل فاحش الثراء عندما كنت صغيرة، كنت أعمل عنده في مصنع عائلته وأحببنا بعضنا وتزوجنا سرًا، ولكن بعد فترة قصيرة من زواجي أصرت عائلته على أن يطلقني بعد أن علموا، وقد رضخ لرغبتهم سريعًا، ولكنه تعهد بأن يتكفل بكل مصاريف رفيدة، والتي كنت حامل بها، ولكنه مات في حادث بعدها بوقت قصير. وقامت أسرته بدفع تكاليف الدراسة كما أوصاهم.. وطبعًا لا يوجد بينهم وبين رفيدة أية علاقة من قريب أو بعيد.

- ألم تحاول رفيدة التواصل معهم؟

- لا، كما أخبرتكم قد مات أبوها.. كما أنهم يقيمون في الخارج، حتى أن أعمالهم كلها أصبحت خارج مصر وقد أوضحوا تمامًا أنهم لا يريدون أية علاقة معنا.

- ولكن لرفيدة حق في ميراث والدها الثري!

ضحكت ثريا ضحكة قصيرة مليئة بالمرارة والسخرية وقالت:

- هذا صحيح، ولكن لا حيلة لنا أمام قوتهم وسلطتهم.. لم تكن رفيدة لتحصل إلا بما يمنون عليها به.

- هل كانت تعلم رفيدة بكل هذا؟

- نعم، ولكنها لم تتعامل مع أي منهم مباشرة، ولكنها كانت تعلم أنها

من عائلة غنية تخلت عنها. كانت تشعر بالمرارة لذلك، وأعتقد...

سكتت ثريا وامتلأت عيناها بالدموع، ثم أكملت:

- أعتقد أنها كرهتني؛ لذلك شعرت دائمًا بأنني السبب في تعاستها، وربما كانت على حق.

تهدج صوتها وحاولت السيطرة على مشاعرها، ولكنها أخفت وجهها بين كفيها في النهاية. ودخلت في موجة بكاء مريرة، قامت ليلى إليها واحتضنتها قائلة:

- إن كان هناك مذنب فهو ذلك الأب الذي جاء بفتاة إلى الدنيا ثم تخلى عنها وعن حمايتها.

5

لم تكن ليلى على طبيعتها اليوم التالي لزيارة ثريا، هالها أن تتخيل أن من بين طلاب مدرستهم من يعاني بهذا الشكل ولا يشعر به أحد، ها هي الحياة تثبت لها مرارًا وتكرارًا أن في أحيان كثيرة تكون بواطن الأمور أبعد ما يكون عن ظواهرها. لا بد أن تتذكر هذا دائمًا في حياتها حتى لا تنسى أن تكون عطوفة تجاه الآخرين، فهي لا تعلم أي يوم يعانون منه. ما أقصر نظر البشر حقًا! لم تتخيل عندما تدخلت في هذا الأمر أنه سيؤثر فيها بهذا الشكل. ها هي الآن بسبب رفيدة تعيد تقييم كل تلك النعم التي تتمتع بها كأمر مسلم، ولا تبالي حقًا بشكر الله عليها. أن تكون لك عائلة محبة وبيت دافئ تعلم دائمًا أنك ستعود إليه وتنعم فيه بالأحضان من كل من فيه مهما كان يومك شاق أو صعب. يا لها من نعمة يغفل عنها الكثير!

أفاقت من شرودها على صوت يناديها:

- ليلى.. ليلى!

رفعت عينيها لتجد أمامها نور، أخبث نمامة في المدرسة. هي لا تطيقها، ولكنها لا تستطيع أن تظهر هذا لأن نور ببساطة لها عصبة شريرة من الفتيات الحمقاوات اللاتي يستطعن تحويل حياة أي أحد إلى جحيم إن أرادوا ذلك. أجابت في فتور:

- أهلًا نور.

- أخبرتني نادين أنكِ اتصلتِ بأختها فريدة لتسألي عن رُفيدة.

فكرت في نفسها: "نادين الحمقاء لن تكف عن الحديث".

- نعم، أشعر بالفضول الشديد.. أنتِ تعلمين أنني من وجدت الجثة.

- كلنا نشعر بالفضول.. هذه الفتاة لم يسمع أحد عنها من قبل، كانت كالشبح حتى من قبل أن تُذبح.

بدا عليها الإثارة والاستمتاع فاستعر الغضب في نفس ليلى:

- هي لم تُذبح، بل طُعنت حتى الموت.

لم تبالِ نور بالغضب المكتوم البادي في صوت ليلى، وقالت بنفس الإثارة المستفزة لأعصاب ليلى:

- الشرطة تتحدث مع كثير من أصدقائها ومعلميها، ولكنهم يغفلون أهم شخص في هذا التحقيق. انتبهت ليلى إليها وسألتها:

- من تقصدين؟ مايا؟

- لا، لا بد أنهم قد تحدثوا مع مايا، ولكن أقصد سليم.

بدت على وجهها نظرة خبيثة، كانت ليلى تعرف سليم مدرس الرسم الوسيم، والذي تهيم به كثير من فتيات المدرسة.

- آه.. وما دخله في الأمر؟

- تقول فريدة أن الفتاة كانت تهيم به بشكل لا يُخفى على أحد.

- ليست الوحيدة، أنتِ تعلمين ذلك جيدًا.. سليم له الكثير من المعجبات.

قالت ذلك بطريقة خبيثة أزعجت نور، والتي تنقطع أنفاسها لرؤية سليم. تحدثت ببضع الكلمات بعد ذلك، ثم غادرت ليلى وهي يبدو

عليها الغضب، ولكن ليلى على الرغم مما أظهرته من عدم الاهتمام بما قالت. كان عقلها يعمل سريعًا. إن كانت زفيدة تكن إعجابًا لسليم، فربما يستحق الأمر أن تبحث فيه. شعرت بحاجتها لمناقشة الأمر مع مازن ورماح قبل أن تقوم بأي تصرف.

أسرعت بالخروج من الفصل قبل أن يدخل المعلم التالي، وقد رأت بطرف عينيها نور وهي تتهامس مع عصبتها الحقيرة ويسترقون النظر إليها، ولكنها لم تكن لتهتم كثيرًا في هذا الوقت، ربما لاحقًا. اللعنة على غبائها! ألم تستطع أن تمسك زلات لسانها ولا تثير غضب الحرباء؟! كانت تتسلل بجانب مكتب الناظرة وهي تخشى أن تراها وتسألها عما تفعله هنا. يمكنها أن تكذب وتخبرها أن ليس لديها حصة الآن، لكنها مخاطرة قد تكشفها محبات في الحال؛ لذلك حاولت أن تمر دون أن تشعر بها تحسبًا إن كانت في مكتبها. كان الباب مواربًا؛ لذلك لم تستطع أن تعلم حقًا، ولكن تناهى إلى سمعها هذا الصوت المذعور الذي استوقفها:

- يا إلهي! ستنهار هذه المدرسة حقًا إن استمر دخول الشرطة إليها في أي وقت بهذا الشكل، ألا يكفينا أن تحدث جريمة قتل؟!

- أستاذ الليثي.. دعنا نتمنى أن يُلقى القبض على القاتل سريعًا، هذا سيريح الجميع وينهي مشاكلنا كلها.

- ينهي مشاكلنا؟! يا لكِ من واهمة أستاذة محبات؟ ألم تفكري ماذا إن كان القاتل أحد تلاميذنا أو عاملي المدرسة أو الاسوأ أحد مدرسينا؟ إنها كارثة بكل المقاييس، قد تبدأ مشاكلنا الحقيقية باكتشاف القاتل يا عزيزتي.

- لا، لا يمكن أن يكون الأمر كذلك.. لا يمكن أن يتورط أطفالنا في شيء كهذا ولا مدرسينا.

- أنتِ لا تعرفين ما الذي يمكنهم فعله هؤلاء الملاعين بمجرد أن تلعب الهرمونات في أجسادهم!

بدا صوته مرتاعًا.

- لقد سمعت (ناني) سامية حديثًا لعناصر الشرطة، إنهم بالفعل يكثفون بحثهم داخل المدرسة حتى يعثروا على هاتف رفيدة المفقود، وهذا سبب انتشارهم في كل مكان في المدرسة بهذا الشكل المريع، فلقد اعتقدت الشرطة أنها ستجد الهاتف في منزلها، ولكن والدة رفيدة أكدت أنها لم تكن تفارق هاتفها أو تتركه في المنزل، وأنها كانت تحمله كل يوم معها إلى المدرسة.

ولذلك سكت ثم اردف في حذر:

- ربما ينبغي أن نناقش الأمر بعد أن تغلقي الباب.. لم تصرح الشرطة بالأمر بعد.

تحركت ليلى بأسرع ما يمكنها دون أن تحدث صوتًا. التقطت أنفاسها بصعوبة بعد أن شاهدت محبات تختفي ثانية داخل مكتبها بعد أن أغلقت الباب. كانت تشعر بالفضول الشديد لتعرف ما الذي اكتشفته الشرطة، ولكنها تعلم أنها لن تسمع شيئًا من وراء باب مكتب الناظرة، فضلًا أنه ليس من الحكمة أن تتنصت على باب الناظرة وقد يمر بها أي أحد. أكملت طريقها بحثًا عن مازن، ثم أخرجت هاتفها بحذر لتتصل به. فهم يمكنهم الاحتفاظ بهواتفهم داخل المدرسة، ولكنهم لا

يمكنهم استخدامها إلا بإذن من المدرسين وهو ما لا يلتزمون به في أغلب الأوقات. قابلت مازن بعد عدة دقائق وقصت عليه ما قالته نور ثم استطردت:

- يجب أن نتحدث معه رغم أني غير متفائلة.. أعني أن الموضوع شائك، لن يكون مرتاحًا للحديث فيه. يمكنني أن أحاول الحديث مع مايا ثانية رغم أنني غير متفائلة أيضًا.. ثم تذكرت حديث الناظرة وصاحب المدرسة وقصت عليه ما سمعته.

- هل تظن محبات أن الليثي يهتم باكتشاف القاتل؟ لا بد أنه يتمنى أن يُحفظ التحقيق ضد مجهول، بل لعله يحاول عرقلة التحقيقات. لن أستغرب.

رفع كتفيه ثم أكمل:

- أظن أن هذا الهاتف يحمل الكثير من الأجوبة.. لا بد أن القاتل قد أخذه ليحمي نفسه وتخلص منه. لا أظن أنهم سيجدونه في المدرسة.

قطع استرساله في الحديث رؤية رماح قادمًا نحوهما، قص عليه مازن وليلى ما قالته نور. تحدث وهو شارد الذهن:

- لعلها النميمة المعتادة، ولكن يجب أن نتحدث إليه بالطبع رغم أني غير متفائل.. أتمنى أن يجدوا هذا الهاتف.

- إذًا من سيتولى مهمة الحديث مع سليم! أظنه سيكون أكثر انفتاحًا في الحديث معي.

- لا طبعًا.

صاح مازن ورماح معًا في آنٍ واحد. ثم أكمل مازن:

- لا تفكري حتى في الأمر، سأتولى أنا هذه المهمة.. لقد حاول سليم من قبل الاندماج معنا وخرج معي وبعض الأصدقاء؛ لذلك سوف أدعوه للخروج معنا ثانية وأحاول استدراجه للحديث بخصوص الجريمة. من الأفضل أن تخرج معنا يا رماح.. تحامل على نفسك وتحمل تفاهات هؤلاء المراهقين السذج.

اكتسى صوته بالسخرية والتهكم من استعلاء صاحبه، ولكن قبل أن يجيب رماح على سخرية مازن لمحت ليلى مايا تسير في آخر الردهة وقالت وهي تمشي سريعًا مبتعدة:

- يجب أن أذهب الآن.

وقبل أن يدركا الأمر ويعبران عن اعتراضهما لملاحقتها مايا كانت قد تحركت. زفر مازن قائلًا:

- يا لها من حمقاء! ستقحم نفسها في المشكلات.

لحقت ليلى بمايا وسارت بمحاذاتها وهي غافلة عن ملاحقة ليلى لها.

- أهلًا مايا.

نظرت مايا إليها بطرف عينيها، ثم قالت في فتور وهي مستمرة في سيرها:

- آه.. أنتِ ثانية!

- نعم.

- ماذا تريدين؟

لم تتوقف للحديث واستمرت في سيرها.

- سمعت من إحدى الفتيات أن رُفيدة كانت معجبة بأحد المدرسين في المدرسة، الحقيقة يبدو من كلامهم أن الأمر ربما كان أكثر من هذا. بما أنكِ صديقتها المقربة لم لا تخبرني إن كنتِ على علم؟

كانت تعلم أن وقتها مع مايا ضيق؛ لذلك دخلت سريعًا في صلب الموضوع. لم تجب مايا وظلت صامتة. أردفت ليلى:

- لا يبدو لي أنكِ مهتمة حقًا بمقتل صديقتك.

- نعم، أنا بالفعل غير مهتمة.

توقفت الآن فجأة وواجهت ليلى ونظرت بحدة إليها قائلة:

- هل تشعرين بالأسى نحوها؟ الفتاة المسكينة التي تخلى عنها والدها؟ هل بكت أمها عندما أخبرتكِ بالقصة؟ سمعت أنكِ زرتِ أمها بالفعل.. أنتِ لا تعرفين عن رفيدة شيئًا، ربما كانت بمحل سوء أبيها.. هل تعلمين؟ لقد أحسن صنعًا بتخليها عنها. انسِ الأمر أيتها الساذجة! ماتت رفيدة وارتاح العالم منها.. دعيني أخبركِ لقد ارتحت كثيرًا بمقتلها.

اكتسى وجهها بنظرة شريرة مليئة بالحقد والكره. اندهشت ليلى مما سمعته:

- الآن ماذا؟ هل ستخبرينني أنكِ من قتلها؟

حدجتها مايا بنظرة نارية، ثم أكملت سيرها دون أن تنطق بكلمة

أخرى. كانت قد وصلت إلى الفصل الذي تقصده عندما توقفت قبل أن تدخل وحدجت ليلى بنظرة متوعدة قائلة:

- احترسي أيتها الفتاة ولا تدخلي أنفك فيما لا يعنيكِ! هناك قاتل قد قتل مرة ولن يتردد في القتل ثانية.

- هل هذا تهديد؟

سألتها ليلى في دهشة، اكتسى وجه مايا بتعبير خالٍ، ثم التفتت ودخلت فصلها دون أن تنبس ببنت شفة.

نجح مازن في ترتيب تجمع لأصدقائه في أحد الأندية التي اعتادوا على الذهاب إليها، وتم دعوة سليم إليه من قبل صديق لمازن مقرب إلى الشاب قليلًا. تلقى المدرس الشاب الدعوة بحسن نية فهو يتمتع بشعبية لا بأس بها بين الطلاب بسبب صغر سنه ووسامته وحسن هندامه، فهو في أغلب الأحوال يكبرهم ببضع سنوات في أوائل العشرينات ولديه حس فكاهة جعله محبب إليهم. مر مازن على رماح قبل الموعد وذهبا معًا إلى النادي.

- لا أصدق أنني سأتحمل سخافاتكم لعدد من الساعات.. أرجوك يا مازن مهما حدث حاول ألا ينخرطوا في حديث عن ببجي والبلاي ستيشن.. قد أموت كمدًا.

ضحك مازن. كان رماح يكبرهم بعام تقريبًا، ولكنه يبدو أنه يكبرهم بسنوات عديدة. أحيانًا يشعر أنه رجل في الأربعين من عمره. كل ما يهمه هو آخر الاكتشافات العلمية والتغيرات الاستراتيجية للقوى العظمى في العالم وتأثيرها على المنطقة كما يقول دائمًا. لم يفهم

مازن ربع حديقه في كثير من الأحيان، ولكنه أحبه منذ أن كانا طفلين. كان صديقه عبقريًا وكان يعرف أنه لا بد وقد قُبل للالتحاق بأعرق جامعات العالم وإن لم يصرح بذلك بعد، ولكنه يدرك تمامًا أن صديقه لن يبقَ هنا طويلًا بعد أن ينهي دراسته المدرسية.

عندما دخلا النادي شاهدا كريم وعلي يلوحان لهما. كان الاثنان يلعبان مع مازن في الفريق ويتمتع كلا منهما بجسد رياضي مفتول ووسامة أهلتهما ليكونا من أكثر الطلاب شعبية في المدرسة وحمقًا وتفاهة على حد سواء. قال علي عندما اقتربا:

- لم يستطع آسر القدوم.. أصر أبوه والذي عاد من سفره اليوم أنه يجب أن يمكث في البيت استعدادًا للامتحانات.

نخر علي ليبدي اعتراضه وشعر رماح بالاشمئزاز.

- أهلًا رماح.. لقد مضى وقت طويل منذ آخر مرة خرجت فيها معنا.

نظر كريم إلى مازن نظرة توبيخ وكأنه يستنكر قدوم هذا الغريب إلى تجمعهم. لمح مازن سليم يسير في النادي ويبدو أنه يخرج هاتفه ليتصل بهم. كانوا قد تركوا على البوابة تذكرة باسمه ليستطيع الدخول إلى النادي.

- لقد جاء سليم. إنه لا يرانا.. سوف أذهب إليه.

عاد الاثنان معًا. كان سليم ذو شعر بني ناعم وبشرة تميل للسمار قد لوحتها الشمس، مرتديًا قميصًا أبيض من علامة تجارية مشهورة. كان يبدو كنجم سينمائي وله ابتسامة جذابة. قال وهو يجلس:

- أهلًا يا شباب.. يسعدني دعوتكم لي.. أين آسر؟

أجابه مازن:

- لم يستطع القدوم. ظروف عائلية.

- أشعر أن هذا التجمع لا يُرجى منه خير.. فأنتم لا تجتمعون بهذا الشكل إلا لمصيبة تخططون لها.

- يا لها من سمعة سيئة ليس لها أي أساس من الصحة يا سليم.

كان الجميع ينادونه باسمه مجردًا، فكل معلم في مدرستهم يحدد للطلاب الطريقة التي يشاء في مناداته. وقد اختار سليم بعض المعلمين أن يدعوه بدون أي لقب وهذا مفهوم لصغر سنه.

- انظر من يتكلم! كريم.. تفكر الأستاذة محبات بالفعل في اتخاذ قرار صارم بشأن شجارك المستمر في الفترة الأخيرة.. لن يحب والداك أن تُفصل لأسبوع من المدرسة. كانت تفكر في الأمر بجدية، لن تفيدك سارة يومها بشيء، حبذا لو قطعت علاقتك بها فهي مشاغبة وتسعى للمشاكل.

- ما دخل سارة بالأمر؟

- كريم.. كل المدرسة تعلم أن شجارك المستمر في الفترة الأخيرة بسبب غيرتك عليها.. لا تخف! لقد هدأت من روع الأستاذة محبات وأخبرتها بأنني سوف أتحدث معك عن الأمر، على الرغم من أن سليم مدرس فنون الرسم إلا أن محبات تعتمد عليه في حل بعض المشاكل لما له من قبول عند الطلاب لقرب سنه منهم.

ضحك ضحكة قصيرة ثم قال:

- لا أعرف لم الاستعجال بشأن الفتيات؟ كل شيء أجمل في وقته وأوانه.. دراستكم الآن هي التي يجب أن تصبح أولى أولوياتكم. أخبروني متى موعد المباراة القادمة؟ كلي حماس لها.. لا بد أن نفوز هذه المرة.

استمروا في الحديث لساعتين شارك الجميع في الحديث والضحك، لكن رماح كان مقلًا في الحديث واستمع أكثر لسليم. كان لسليم شخصية قيادية ساحرة يمضي الوقت معها دون أن تشعر، يأخذ بزمام الحديث ويوجهه حيث يشاء. كانوا على وشك الانصراف عندما تحدث رماح تعقيبًا على شيء قاله علي بشأن المباريات:

- وهل تظن أن الشرطة ستسمح بإقامة المباريات؟ ما زالت المدرسة مسرح للجريمة.

- لا أظن أن المباريات تعيق عمل الشرطة في شيء.. على الأقل لم تصرح الأستاذة محبات بشيء كهذا.

أجاب سليم في ثقة عندما لاحظ قلقهم. سأله رماح على حين غرة:

- هل كنت تعرف زفيدة؟ اقصد هل درست لها؟

بوغت سليم من السؤال ثم تململ في جلسته قائلًا:

- لم أكن لأقول أني أعرفها جيدًا.. نعم درست لها وأعرفها، ولكن زفيدة كانت انطوائية ولا تتحدث أو تتفاعل كثيرًا داخل الفصل.

- هل تعلم أنها كانت تكن لك إعجابًا؟ قالت ذلك إحدى الفتيات لأختي.

بدا على سليم الانزعاج.

- حقًا! لا لم أكن أعلم، ولكن كثير من الفتيات في هذه المرحلة العمرية تنتابهن مشاعر الإعجاب نحو مدرسيهم خاصة الشباب منهم. لن أستغرب الأمر. يبدو أن هذه الجريمة تأخذ الكثير من اهتمامكم، وهذا طبيعي فحدوث جريمة في مدرستنا أمر لا يصدقه عقل.

- خاصة أن أختي ليلى هي من وجدت الجثة.

- حقًا! يا إلهي لم أكن أعرف أن أختك هي من وجدتها.. لا بد أنها كانت تجربة مروعة.

- نعم، ولكن ليلى قوية.. لقد أرادت.

قاطعه رماح سريعًا قبل أن يكمل جملته:

- لقد تأخر الوقت كثيرًا، لا بد أن أعود إلى المنزل.. إذا سهرت طويلًا أصاب بصداع لا يطاق عندما استيقظ للمدرسة في الصباح.

- بالفعل، لقد أخذنا الوقت ومر سريعًا. ينبغي أن تعودوا جميعًا إلى منازلكم. أراكم غدًا في المدرسة.. كانت سهرة ممتعة يا شباب.. ينبغي أن نكررها قريبًا.

قاموا بتوديع بعضهم البعض. ما إن انفرد رماح بمازن حتى صاح فيه:

- لماذا جئت بذكر ليلى؟ ألا يكفيك أنها تمشي في المدرسة تذكر رفيدة وتسأل عنها وهي لا تبالي بأي شيء؟

بوهت مازن قليلًا لصياح رماح في وجهه، ولكنه قال أخيرًا في

وجوم:

- معك حق، ما كان ينبغي أن آتي على ذكرها، ولكني ظننت أن المدرسة كلها تعلم ذلك.

- ذلك المتحذلق الأخرق يريد أن يقنعنا أنه لم يكن يعلم بإعجاب رفيدة به؟

- أتظنه يكذب؟

- أمثال سليم المتباهين لا يمكن أن يخطئوا نظرة إعجاب من فتاة؟ إنهم يتغذون عليها.

- إنك تغار منه يا رماح؛ لأنه وسيم ومحبوب.

كتم مازن ضحكته إمعانًا في كيده لرماح.

- يا لك من أحمق! وداعًا.

مشى رماح مبتعدًا عن صاحبه الذي صاح بأعلى صوته:

- أراك غدًا.

وهو ما زال يكتم ضحكاته. كان رماح يعلم أن مازن على حق. إنه يغار بالفعل من سليم، ولكن ليس لأنه وسيم ومحبوب كما يدعي، فمازن أيضًا وسيم ومحبوب، ولكنه لا يحرك شعرة في جسد رماح وغيره كثيرين. هو يعلم أنه يغار من سليم بسبب تلك النظرة التي التمعت على وجهها عندما جاء ذكره وجه ليلى الجميل، تلك النظرة التي استمرت للحظة. نظرة عنت أنها تراه بالفعل وسيم، إنها تراه بالفعل محبوب. تلك النظرة الخاطفة جعلت سليم أسخف وأمقت

خلق الله لعيني رماح.

6

- إذًا ماذا سنفعل الآن؟ لقد أغلقت جميع الأبواب في وجهنا ووصلنا إلى طريق مسدود. لم يعد هناك خيطًا نقتفي أثره.

سألت ليلى رماح ومازن وهي تشعر بالإحباط، ثم أردفت:

- مايا ترفض الحديث عن رفيدة والمساعدة، وتبدو لي كمن يمكنه القتل بدم بارد.. سليم علي حد قولكما كان متعاونًا، ولكنه قال أنه لم يكن يعرف رفيدة جيدًا، ولم يكن يعرف أنها معجبة به، لكن رماح لا يميل إلى تصديقه، والدة رفيدة تكره مايا وترى أنها ذات تأثير سيء على ابنتها، ولكنها تقول أنها لا تستطيع المساعدة لأنها لم تكن مقربة منها.. مايا تقول أن لرفيدة أسرار وأن ثريا امرأة حقيرة.

- يجب أن نعود إلى ثريا.. لا بد أن يكون لديها المزيد.. كما أنني أنتظر معلومات من صديق لجدي يعمل في الشرطة، أتمنى أن تقودنا لشيء ما.

- أي معلومات؟

- سوف أطلعكما على الأمر بمجرد حصولي على المعلومات، ولكن لا بد أن تعودي يا ليلى إلى زيارة ثريا بمفردك.. لقد أحبتكِ وقد تفتح لكِ قلبها لتقول لكِ المزيد عن رفيدة.

- معك حق، ففي النهاية ليس أمامنا الكثير لتتبعه.. سوف أتصل بها، فقد حصلت على رقم هاتفها المرة الفائتة وأحاول أن أحدد معها موعدًا مناسبًا لمقابلتها.

- حسنًا، هذا رائع.

اتصلت ليلى بثريا، وأخذت تثرثر معها وتسألها عن أحوالها. كانت ليلى بالفعل تشعر بالشفقة الشديدة تجاه ثريا التي فقدت ابنتها الوحيدة فجأة وتعيش مع رجل اعتاد على ضربها على حد قول أم سيد والشواهد التي رأتها بعينيها المرة السابقة. سألتها ليلى بنبرة موارِبة إن كانت تستطيع زيارتها للاطمئنان عليها وقد رحبت ثريا بذلك، لا تعلم إن كانت ثريا أدركت أن للأمر علاقة بالجريمة أم لا، فقد بدت المرأة البائسة وحيدة بشكل كبير.

بعد عدة ساعات، كانت ليلى تدق جرس باب ثريا وتنتظر. كان مازن معها، ولكنه تركها وانتظر على أول الشارع طبقًا لتعليمات رماح الذي رأى أن ثريا ستكون أكثر انفتاحًا مع ليلى بمفردهما. فتحت ثريا الباب مبتسمة وقد كانت تبدو هذه المرة أحسن هندامًا وأفضل من المرة السابقة:

- أهلًا ليلى، تفضلي يا حبيبتي.. سعدتُ كثيرًا بمكالمتك.

دخلت ليلى بعد أن قبلت ثريا واحتضنتها. كانت تشعر أن ثريا تفتقد كثيرًا إلى من يهتم بها ويؤنسها.

- وأنا أيضًا سعيدة يا...

- قولي لي ثريا.. فانا لست كبيرة في السن كما أبدو لكِ.. أبلغ من العمر خمسًا وثلاثين عامًا. قد تستغربين، ولكني حملت برفيدة وأنا في السابعة عشر من عمري.

- يا إلهي كنتِ صغيرة جدًا! كنتِ في مثل عمري تقريبًا.

- نعم، كنت صغيرة وطائشة وجريت وراء الحب دون أن أفكر في العواقب.. ودفعت ثمن ذلك غاليًا. حسنا الآن ماذا تحبين أن تشربي؟ هناك كولا، كانت رفيدة مدمنة عليها.. هل أحضر لكِ واحدة؟

عادت ثريا بعد دقائق ومعها الكولا المثلجة. ارتشفت ليلى من الزجاجة الباردة في استمتاع، فقد كان يومًا حارًا، ثم قالت في حذر:

- حاولت التحدث مع مايا بشأن الجريمة علها تساعدنا، ولكنها رفضت وكانت عدائية بشكل لم أتخيله.

- هذا متوقع من تلك الحرباء.

- على الرغم من أن الفتاتين كانتا مقربتين جدًا، ولكن يبدو لي أنكِ ومايا تكنان لبعضكما بغضًا وهذا غريب بالنسبة لي.

- لم أشعر يومًا بأنها صديقة جيدة لرفيدة، لطالما حذرتها أن تأخذ حذرها منها وألا تثق في أحد ثقة عمياء، ولكن رفيدة لم تكن لتسمع كعادة الفتيات في تلك السن.. تجاهلت الأمر وفكرت أن الايام ستثبت لها هذا، وكم أنا نادمة على هذا القرار!

- هل تظنين أن لمايا دخلًا في مقتل رفيدة؟

- لا أعرف، ولكني لن أستغرب الأمر حقًا إن صح.

- ما الذي كرهتيه بالتحديد بشأن مايا؟ أعني بشأن صداقتهما.

- ليس هناك شيئًا تحديدًا.. ربما تعلق رفيدة المفرط بتلك الفتاة السخيفة وهذه الصداقة التي تصل إلى حد الهوس، لربما كان هذا طبيعيًا في هذه المرحلة، ولكني شعرت أن صداقتهما غير صحية،

شيئًا ما كان مقلق بالنسبة لي، كان الأمر حدسًا أكثر من كونه أي شيء آخر.

فكرت ليلى في نفسها: "هل يمكن أن ثريا قد غارت من صداقة ابنتها ومايا وهي التي تبدو وحيدة بشكل بائس؟ هل هي من تلك الأمهات المتملكة المسيطرة التي تغار من صداقات أولادها وتحاول إفسادها؟ أم أنه حدس بالفعل كما ادعت ثريا؟" ارتشفت ليلى من زجاجتها ثم سألت ثريا:

- هل يمكنني أن ألقي نظرة على غرفة رُفيدة؟ لربما وجدت شيئًا يفيدنا؟

- بالطبع، من هنا.

سارت وتبعتها ليلى، ثم توقفت عند باب غرفة مغلق وقالت لليلي:

- لو كانت لرفيدة صديقة مثلكِ، لو كنتِ أنتِ صديقتها بدلًا من مايا لربما كانت معنا الآن.

تنهدت بقوة وحبست دموعها وربتت على وجه ليلى، ثم فتحت الباب وقالت وهي تغادرها:

- خذي وقتك، ولكن هاني سيعود إلى البيت خلال ساعة ولا أريد أن يجدكِ عندما يعود.

- أفهم ذلك، لن أستغرق طويلًا.

وقفت ليلى على عتبة الباب تنظر إلى الغرفة الصغيرة. كانت رثة الحال كبقية الشقة. تحتل نافذة واسعة الحائط المواجه للباب ويقع

تحتها مكتب تراصت عليه بعض الكتب والأدوات الأخرى. وضع السرير الصغير بجانب المكتب محاذيًا للحائط، وعلى طرفه قامت خزانة ملابس ذات درفتين، ڒسم على الخزانة الخشبية ذات اللون البرتقالي قلبًا كبيرًا بالأسود، ووضع فيه الحرفين الإنجليزيين R و M. وبدا كأن هناك من حاول باستماتة مسح الرسم من على الخشب دون جدوى. فكرت ليلى أنها تعرف جيدًا من قام بهذا، وتذكرت ثريا وهي تقول: "هوس ڒفيدة بمايا"، ولكن أحست أيضًا ليلى أن ڒفيدة كانت تتحدى أمها بذلك الرسم، والتي لا بد أنها أبدت في فترة ما اعتراضها على صداقتها بمايا. فتحت الخزانة وعلى خلاف ما توقعت وجدتها مكدسة بالثياب والحقائب والتي بدت لعينيها ذات نوعية جيدة إن لم تكن بعضها باهظ الثمن. هل يمكن أن تكون هدايا مايا لها؟ سمعت من قبل أن النرجسيين وغيرهم من المرضى يغدقون ضحاياهم بالهدايا ليتملكوهم. فتشت بينها علها تجد أي شيء. شد نظرها صندوقٌ أصفر مزين بالقلوب الحمراء. خفق قلبها بشدة لرؤيته. بدا لها أن ڒفيدة حاولت إخفاءه تحت الملابس، أخذته وجلست على كرسي المكتب والذي وجدته غير مريح بالمرة. كان مليئًا بالأوراق، وعندما دققت ليلى وجدت أنها رسائل مكتوبة من مايا إلى ڒفيدة. كانت معظمها تحمل نفس المعنى: أنها ستظل تحبها إلى الأبد مع اختصار الـ BFF، كثير من القلوب والرسومات لصديقتين مقربتين. كان عدد كبير من الرسائل بشكل لا يُصدق. ويبدو أن مايا كانت على نفس القدر من الهوس بصديقتها. كان هناك أيضًا عدد من الصور الفوتوغرافية للفتاتين على مر السنوات منذ أن كانا في العاشرة. وسلسلتان ذهبيتان إحداهما لها يتدلى حرف

الـ M في نصف قلب، والأخرى يتدلى منها حرف الـ R في نصف قلب كذلك. فهمت ليلى أن مايا لا بد أن تكون قد أعادت السلسلة لزفيدة إشعارًا بانتهاء صداقتهما، وهذا يعني أن السلسة والتي تبدو من الذهب الخالص كانت هدية من زفيدة لمايا. انتهت من تفحص محتويات الصندوق ووضعته جانبًا وبدأت في تفحص المكتب وما عليه من الكتب. بدأت تفتح أدراج المكتب واحدًا تلو الأخر. كان بها بعض مجلات الكومكس والأنمي، وبعض الكتب، والأوراق، والدفاتر المدرسية. لفت نظرها حافظة أوراق من القماش البرتقالي كانت بداخلها مزيدًا من ملازم الدراسة التي توزع عليهم في المدرسة، كانت ليلى تعلم أن هذه الحافظة لها جيب سري، إذ أنها انتشرت بصورة كبيرة بين طلاب مدرستها في فترة سابقة، حيث كان الطلاب يخفون فيها الأشياء التي لا يُسمح بتواجدها في المدرسة، ولولا ذلك لم تكن ليلى لترى هذا الجيب لأنه مخفي بشكل جيد ومبطن بطريقة تخفي ما بداخله، كانت تسمع دقات قلبها بقوة، لا بد أن الشرطة لم تفتش حافظة الأوراق، ولم تعلم بأمر الجيب المخفي جيدًا، ولكن خاب ظنها سريعًا عندما رأت مزيدًا من الرسائل أيضًا، ولا شيء آخر. انقلبت خيبتها إلى غضب مكتوم. بدأت تتفحص الرسائل سريعًا، وسرعان ما أدركت أنها حصلت على شيء مهم في نهاية بحثها. أخذت الرسائل وأخفتها في حقيبتها وهي تشعر بالإثارة. لم ترد أن تأخذ الرسائل دون إذن من ثريا، ولكنها كانت تعلم أنها إن استأذنتها لا بد أن تطلب ثريا الاطلاع عليها قبل أن تأخذها، وحينها قد ترفض ثريا أن تحتفظ ليلى بالرسائل أو الأسوأ أن تقوم بتمزيقها أو تدميرها. خرجت من الغرفة أخيرًا ونادت:

- سيدة ثريا، يجب أن أذهب.

ظهرت ثريا وهي مبتسمة لتودعها.

- سعدت كثيرًا بزيارتك يا ليلى.

- أنا أيضًا، شكرًا لكِ على استقبالي.

- في أي وقت يا حبيبتي.

كانا قد وصلا إلى باب الشقة، عندما التفتت ليلى إليها وسألتها فجأة:

- كنت أود أن أعرف هل أرسل أهل والد رفيدة أموال غير مصاريف المدرسة إليكم؟ أعني مصاريف شخصية لرفيدة، مصروف شهري مثلًا، أم أنهم اكتفوا بدفع المصاريف المدرسية فقط؟

لوهلة ظنت أنها رأت تشنجًا طفيفًا على وجه ثريا.

- لا، للأسف لقد اكتفوا بدفع المصاريف المدرسية فقط. في مناسبات قليلة جدًا وعلى فترات متباعدة أرسلوا مبالغ قليلة لا تذكر لرفيدة.. على سبيل الإحسان أظن، ربما مرة أو اثنين.

- إنه لأمر مخزٍ حقًا.. إلى اللقاء سيدة ثريا.

- مع ألف سلامة يا ليلى.

فكرت في نفسها إن صدقت ثريا في هذا الأمر، فمن أين جاءت كل هذه الملابس والحقائب الغالية في خزانة رفيدة والسلسلتان الذهبيتان؟ هل يمكن أن تكون جميعها هدايا من مايا؟ لم تكن رفيدة قادرة على الحصول على هذه الأشياء في الحالة الطبيعية، وإن كانت تكذب، فلمَ؟ فما الذي تخفيه؟ أم أنها أرادت فقط مزيدًا من

التشويه لصورة العائلة المشوهة أصلًا. بعد أن استقلت سيارة الأجرة مع مازن، عاجلته قائلة:

- مازن.. سليم كان يكذب، كان يكذب بشأن عدم معرفته بإعجاب رُفيدة به، لقد وجدت ما يثبت ذلك.

- حقًا! ما الذي وجدتيه؟ هل قالت ثريا ذلك؟

- لا، لا أظنها كانت تعرف أي شيء عن ابنتها في الواقع.. قصت عليه دخولها غرفة رُفيدة والبحث فيها.

- عندما فتحت الحافظة أدركت أنها تلك المنتشرة في مدرستنا ولها جيب سري، عندما رأيت الرسائل اعتقدت أنها مثل التي وجدتها في الصندوق، ولكن الرسائل كلها كانت معنونة إلى سليم.

- لعل رفيدة كتبتها واحتفظت بها لنفسها لتبوح بمكنون صدرها فقط.

- لا، ما قرأته في هذه الرسائل يدل أن أحاديث دارت بين سليم ورُفيدة في الواقع.. انتظر سأريك، لقد احتفظت بها لتفحصها على مهل.

أخرجت الرسائل وبدأت تبحث فيها حتى وصلت إلى مبتغاها.

- اسمع مثلا ما كتبته هنا: "أعلم يا سليم أن الحياة ليست عادلة تمامًا كما أخبرتني أمس، وأننا يجب ألا نستسلم عندما لا نحظى بما نريد، بل يجب أن نحارب من أجله بكل ما استطعنا من قوة. كلامك بث فيّ الأمل من جديد بعد أن فقدت كل أمل في هذه الحياة البائسة".

توقفت عن القراءة ثم قالت:

- ما رأيك؟

- إن لم تكن رُفيدة ترى هلاوس وتتخيل أحاديث في عقلها، لا يمكن إلا أن يكون دليلًا قويًا.

- بالضبط، يجب أن نواجهه بالأمر لنرى ردة فعله.

- دعينا نتحدث مع رماح ونريه هذه الرسائل ونفكر بخطوتنا القادمة.. هل تظنين أن رفيدة احتفظت بهذه الرسائل ولم تعطها لسليم أم إنه قد أعادها إليها عندما ظن أن الأمر غير مناسب؟

- حقًا، لا أعرف.. الأمران غير بعيدان عن الحدوث.

عندما عاد مازن إلى المنزل اتصل برماح وأخبره بكل ما حدث. قال رماح ببطء وكأنه يفكر في أمر ما.

- إذًا سنذهب إليه غدًا في المدرسة، ونواجهه بالأمر لنرى ردة فعله.

- بماذا تفكر؟

- لا أعلم، سليم يحاول مساعدة العديد من الطلاب على تخطي مشاكلهم.. عامة اطلب من ليلى أن تفحص هذه الرسائل جيدًا.

- ولكن إن كان الأمر كما تقول فلماذا أخفى الأمر؟

- مازن! الفتاة قد قُتلت! لا بد أن يتملكه الخوف، ولكن هذا لا ينفي عنه الشكوك؛ لذلك يجب أن نتحدث معه.

كان يكره سليم، ولكنه لن يترك عواطفه تسيطر على حكمه على

الأمور.

- تقول ليلى أن الرسائل تبدو عادية.. وكأنها ثرثرة بين صديقين لا أكثر.. قد تقرأ من بين السطور إعجاب زفيدة بالمدرس الشاب، ولكن لا شيء صريح.

- أخبرها أن تحضرها معها غدًا في المدرسة.

عندما نقل مازن لليلى ما قاله رماح شعرت بالإحباط ثم بالغضب وقالت في غيظ:

- صديقك هذا غبي ولا يفهم شيئًا، وأنت تقول عنه أنه عبقري.

ابتسم مازن وقال لها:

- الأمر أن رماح لا يحب القفز إلى استنتاجات سريعًا.

أكملت كمن لا تسمعه:

- لذلك انتما صديقان لأنك ببساطة أغبى منه.. تصبح على خير.

تركته وسارت إلى غرفتها وأغلقت الباب بقوة خلفها. فكر مازن أن أخته من الممكن أن تصبح لئيمة جدًا على الرغم من طيبتها، وتمنى أن يفهم ما يدور داخل عقول البنات.

عندما قابل رماح في اليوم التالي قال له محذرًا:

- ليلى تظن أننا أحمقان بشأن سليم؟

- لماذا؟

- نقلت لها ما قولته لي، ولا أعرف لماذا غضبت؟

- لا يهم، دعنا نفكر فيما سنفعله مع سليم.. أفكر أن نذهب إليه في وقت الراحة القادم. كن على استعداد بمجرد انطلاق جرس الحصة.

عندما دق الجرس انطلق الاثنان إلى غرفة سليم، على الرغم من أنه مدرس رسم إلا أنه استطاع أن يقنع الناظرة أن يكون له غرفة مكتب صغيرة وحده. وأغلب الظن أنها قد منحته إياها حتى يستطيع التحدث مع الطلاب بحرية، خاصة أولئك الذين يعانون من مشاكل متكررة مع المدرسة. عندما دخلا المكتب الصغير كان سليم منهمكًا على إحدى اللوحات. كانت اللوحة لسلحفاة بحرية صغيرة خرجت لتوها من البيضة وتسرع إلى البحر. تنحنح رماح، فرفع سليم عينيه عن اللوحة بصعوبة ثم قال لهما:

- ثوانٍ وأكون معكما.

انتهى من وضع بعض اللطخات بفرشاته هنا وهناك على اللوحة، ثم ابتسم قائلًا:

- كيف لي أن أساعدكما يا شباب؟

كانت لهجته مريحة وودودة. كان رماح قد اتخذ قرارًا أن يباغت سليم بالأمر حتى لا يدع له مجالًا للتفكير.

- لم كذبت علينا بشأن معرفتك برفيدة؟

بوهت سليم واتسعت عيناه ثم تحدث بصعوبة:

- ما الذي تقصده؟

- قُلت لنا أنك لم تعرف رُفيدة جيدًا، وقد توصلنا إلى أن هذه ليست

الحقيقة، لقد وجدنا رسائل أرسلتها لك رُفيدة.

- انتظرا، من الأفضل أن نتحدث بعد أن أغلق الباب. اسمعاني! لقد كان الأمر مفاجئًا لي عندما سألتماني عن رُفيدة.. نعم لقد خفت فوجدت نفسي أنكر أني كنت أعرفها سوى معرفة طفيفة.

- لكن الأمر لم يكن كذلك.

- نعم، كان لدى رُفيدة الكثير من المشاكل التي أرادت التحدث عنها مع شخص تثق فيه. كانت انطوائية لا أصدقاء لها، وتعاني من قلة ثقة بنفسها وبالآخرين وتدني في تقديرها لذاتها. كنت أحاول أن أساعدها في التغلب على مشاكلها كما أفعل مع الكثير من الطلاب.

- كانت معجبة بك؟

- بالفعل، بعد فترة شعرت بأنها منجذبة إليّ وتلمح بإعجابها بي، ولكني صددتها بقوة وبحزم أوضحت لها بطريقة غير مباشرة أولًا، ثم مباشرة أن هذه المشاعر غير حقيقية وأنها يجب ألا تنجرف وراءها.

- هل أزعجها الأمر؟

- بالطبع، أزعجها جدًا، ولم تتكبد عناء إخفاء ذلك، وانقطعت عن الحديث معي ولا أخفيك سرًا بأني قد ارتحت لذلك، كانت رفيدة من تلك الأشخاص الذين يصبحون مخيفين إلى حد كبير عندما يُرفضون، ولكن بعد شهر تقريبًا ظهرت ثانية وكانت قد تقبلت الأمر.. حتى أنها اخبرتني أنها معجبة بأحد التلاميذ.

- هل تعرف من؟

- الحقيقة أنني لم أهتم بمعرفة ذلك.

رفع رماح حاجبيه وسأله:

- حقًا؟!

- صدقني هذه هي الحقيقة، لم أكن أريد أن تعود للحديث معي ويشتعل إعجابها ثانية بعد أن خمد أخيرًا.

- هل تعتقد أنها اختلقت الأمر لتغير غيرتك مثلًا؟

- لا، لا أظن، أعتقد أنها بالفعل كانت على علاقة بأحدهم.. وقد أخبرتها أنها ما زالت صغيرة وينبغي أن تهتم بدراستها، ولكن يبدو أن كلامي لم يعجبها لأنها ما عادت تتحدث معي بعدها. وهذا ما يؤكد لي أنه كان هناك بالفعل شخصًا في حياتها.

- ومتى كان هذا تقريبًا؟

- أظن أنها بدأت في ذكره منذ شهرين أو ثلاثة على الأكثر.

بعد أن خرجا من عنده سأل مازن رماح:

- هل تظن أنه قد اخترع وجود صاحب لرفيدة ليشتت انتباهنا عنه؟

- ربما، ولكن يجب أن نبحث في الأمر.. المشكلة من أين لنا نعرف أمر كهذا إلا من خلال أصدقائها؟ وهي التي بلا أصدقاء!

- لا تنسَ مايا، رغم رفضها التحدث.

- لا، لم أنسَ مايا بالطبع، ولكن إن كان هذا التطور في حياتها قد حدث منذ ثلاثة أشهر فإنه كان في فترة انقطاع صداقتها مع مايا؛

لذلك فمن غير المرجح أن تعلم عنه شيئًا. انظر إنها ليلى، ولكنها تبدو...

أكمل مازن في قلق:

- مرتاعة.

أقبلت ليلى عليهما وقد بدا على قسمات وجهها الجميل فزعًا حقيقيًا.

- هل سمعتم أخر الأخبار؟

سألها مازن في نفاد صبر:

- ما الأمر؟ هيا تحدثي!

- تم نقل مايا إلى المستشفى.

صاح الاثنان معًا:

- ماذا؟

- نعم، كانت في الفصل.. يقول أصدقاؤها أنها لم تكن على طبيعتها، كانت تضحك بشكل هستيري ثم بدأت في البكاء. التفوا حولها وحاولوا التخفيف عنها معتقدين أنها متأثرة بموت زفيدة.

قاطعها مازن ساخرًا:

- ألم يأتي ذلك متأخرًا قليلًا؟

حدجته ليلى بنظرة موبخة:

- عندما بدأت الحصة انفضوا من حولها وتركوها، بعد مضي وقت ليس بالطويل لاحظت المعلمة أن مايا لا تشارك في الحصة وتضع

رأسها على التخت فاعتقدت أنها نائمة. أخذت تنادي عليها، ولكنها لم تستجب. اقتربت منها لتوقظها معتقدة أنها قد غفت، ولكن لا فائدة.. عندها أدركت أن مايا فاقدة الوعي. حاولوا إفاقتها بشتى الطرق، ولكنها ظلت كما هي لا استجابة وصارت باردة كالثلج وازرقت شفتاها على حد قولهم. هرعت المدرسة لتطلب المساعدة وبالفعل اتصلوا بالإسعاف التي جاءت بعد قليل وأخذتها.

- يا إلهي.. كم هذا مروع!

- لم ينته الأمر هنا يا مازن.. عندما طلبت المعلمة من صديقاتها جمع أشيائها كانت مايا قد تركت رسالة في ورقة موضوعة داخل الكتاب بخط واضح.. كانت تعتذر لأمها وتخبرها أنها لم تعد تحتمل الحياة.

- ماذا؟! هل انتحرت؟!

سأل مازن في دهشة.

- هذا ما يبدو عليه الأمر؟ هل تظنون أنه الإحساس بالذنب؟ هل تورطت بأي شكل في مقتل صديقتها؟ أم هل قتلتها بنفسها؟ رماح ما رأيك؟

كان رماح شارد الذهن، ولكنه أجاب:

- ما زلنا لا نعرف شيئًا؟ هل تعرفين أي مستشفى نقلت إليها؟

- للأسف لا أعرف، ولكن يمكنني أن أعرف بسهولة.. ولكن أليس الأمر واضحًا؟

- إنكِ تقفزين إلى الاستنتاجات سريعًا يا ليلى.. أمس كانت شكوكك

كلها موجهة إلى سليم، واليوم مايا.. هذه القضية معقدة أكثر مما تظنين.

كانت تكره عندما يتحدث إليها هذ الرماح وكأنها طفلة ساذجة. ذلك المتعجرف الذي يظن نفسه عبقريًا.

- أيًا كان ما تقوله لا يهم.

شعر رماح بأنه هناك شيئًا قد أغفله بسبب ردها فسألها:

- ماذا تقصدين؟

- لا أقصد شيئًا، أنت العبقري هنا.. لا تهتم بما تقوله ليلى الغبية.

- يا إلهي ما الذي قلته أوحى لك بهذا؟

همس له مازن بجانب فمه:

- قلت لك أن مزاجها عكر منذ أمس.. لم أغضبتها؟

صاحت في غضب:

- وأنت، ماذا تقول له يا مازن؟

- أوبخه لأنه أغضبكِ يا حبيبتي.

ولكن بدلًا من أن تهدئها إجابته شعرت بمزيد من الغضب يجتاحها، ما بالهم يغضبونها بهذا الشكل المريع، أرادت أن تبكي، ولكنها ظنت بأنها ستكون مدعاة لمزيد من سخريتهم. كظمت غيظها وأدارت ظهرها لهم وسارت مبتعدة. جاءها صوت رماح من ورائها:

- ليلى إننا آسفون.. لم نقصد إزعاجك. هل يمكن أن تعرفي لنا اسم

المستشفى؟

التفتت إليهم والغيظ يملأ صدرها وتحبس دموعها.

- ربما عليكم أن تعرفوه بأنفسكم دون مساعدة مني.

أسرعت في طريقها. قال مازن في يأس:

- حقًا أنا لا أفهم ما الذي يدور في عقول الفتيات؟

قال رماح في غضب:

- لم يكن عليك أن تهمس لي، لقد ظنت أننا نسخر منها. يا لك من غبي!

تركه رماح وهو غاضب أيضًا وتساءل مازن في نفسه بعد أن تركاه وحيدًا ومذهولًا: "إلى متى يستطيع تحمل هذان الاثنان؟"

ولكن على الرغم من ضيقها الشديد منهما إلا أن ليلى قد جاءت في وقت الراحة الثاني لتقول لهما وكأن شيئًا لم يحدث:

- اسمعا، لقد عرفت المستشفى التي نقلت إليها مايا، ليست ببعيدة عن المدرسة.. يقولون أنها أصبحت أحسن حالًا، ولكنها ستمكث في المستشفى بضعة أيام حتى تكون تحت الرقابة الطبية، أو لمزيد من الاطمئنان هكذا قالت والدتها. بعض الفتيات تفكر في زيارتها بعد المدرسة.

قال رماح:

- الأفضل أن نحاول زيارتها قبل أن تذهب إلى البيت.

تساءل مازن:

- ألا يستحسن أن ننتظر حتى تعود إلى منزلها وتتحسن حالتها؟

- لا، الكثير من الطلاب سيذهبون لزيارتها في المستشفى، فهي فتاة محبوبة.. لا نريد أن نثير الشكوك بزيارتي المتكررة لمنزلها، كما أنها قد ترفض استقبالي في بيتها، فهي تمقتني وتظنني فضولية وثرثارة، ولكن المشفى أمره مختلف، ولكن يمكن أن ننتظر إلى الغد ونزورها.

أومأ رماح مؤيدًا طرح ليلى قائلًا:

- أتفق مع ليلى، فلننتظر للغد ونزورها في المستشفى.

أحس مازن أن رماح يحاول أن يمحو آثار ما حدث في وقت سابق من اليوم، فهز رأسه في استسلام.

لم يعد في المدرسة حديث غير ما حدث لمايا، في البداية كان الجميع متعاطف معها ويشعرون بالأسى نحوها، فالفتاة لم تتحمل ما حدث لصديقتها المقربة وها هي تتدهور حالتها الصحية رغم أنها تحاول أن تظهر قوية وصامدة، ولكن ما أن انتشر خبر الرسالة التي تركتها حتى تحول الأسى إلى ريبة وشك. انتشرت الأحاديث الهامسة والمتسائلة في آنٍ معًا: "هل انتحارها هذا لأنها لم تتحمل ما حدث لرفيدة أم لأنها تشعر بالذنب؟" أحسنهم ظنًا اعتقد أن الفتاة كانت متورطة بشكل غير مباشر في مقتلها، وأسوأهم تحدث بقوة ويقين أن مايا هي من قتلت الفتاة خاصة مع انتشار خبر شجارهما، والذي وُصف في بعض الأحاديث أنه قد وصل إلى عراك بالأيدي لولا

تدخل المشرفين.

عندما عاد رماح إلى المنزل اتصل بمصدره الذي ينتظر منه معلومات قد تلقي بالضوء على شيء جديد في هذا التحقيق الذي يزداد صعوبة. كان يأمل أن يحصل من مصدره على مزيد من المعلومات بشأن عائلة زفيدة الثرية، ويأمل أنه بمجرد أن يعرف المزيد عنهم سيحاول الاتصال بعائلتها، فلربما يحصل منهم على معلومات تفيده، فهو يعتقد أن ثريا كانت تحاول أن تخفي شيئًا ما في هذا الجانب، لم تكن صريحة تمامًا عن مدى تواصل العائلة مع زفيدة، خاصة مع ما نقلته له ليلى بشأن الملابس الباهظة والأجهزة غالية الثمن والسلسلتين الذهبيتين في ضوء إصرار ثريا أن العائلة اكتفت بدفع مصاريف المدرسة الباهظة دون المساعدة في أي شيء آخر، وكان هذا التناقض الصريح فيما تخبرهم به لا بد أن يكون له سبب، يبقى احتمال أن تكون كل هذه الأشياء هدايا مايا لرفيدة، ولكن ماذا عن السلسلتين؟ فلو كان الأمر كذلك لم اهتمت مايا بإعادتها إليها وهي التي ابتاعتها؟ لذلك فقد اتصل بصديق لجده كان يعمل في المباحث الجنائية ليساعده في البحث. كان يعول كثيرًا على مساعدته، ولكن الرجل الذي أحيل على المعاش منذ بضعة سنوات يعتمد على تلاميذه وأصدقائه القدامى مما عقد الأمور قليلًا. اعتذر صديق جده بأنه لم يصل إلى أي شيء جديد، وطلب من رماح مزيدًا من الوقت. بعد أن أنهى المكالمة أخذ يفكر وهو مستلقٍ على سريره أن هذه القضية كما كرر من قبل أكثر تعقيدًا مما تبدو عليه. رن هاتفه فقطع سكون غرفته الغارقة في الظلام وظهر اسم مازن على شاشته. أجابه وهو يفرك عينيه من التعب:

- ما الأمر؟

كان قد تحدثا معًا منذ ساعة تقريبًا، وأخذا يتناقشان بشأن الجريمة.

- تخيل من اتصل بليلى ليخبرها أنه لديه بعض المعلومات التي قد تهمنا؟

- من؟

أحس بتشنج صوته.

- زوج ثريا.. عم هاني أو كما أحب أن أدعوه الوغد! أخذ رقم ليلى دون علم زوجته كما يقول لأنه لديه معلومات مهمة.

- ما الذي قاله؟

- رفض الوغد أن يتحدث على الهاتف ويريد أن يقابلنا.

- متوقع.. يريد أن يقبض ثمن ما لديه.

- بالطبع، وقد أوحيت إليه أننا سنقدر مساعدته لنا.

- جيد، هل حددت معه موعد؟

- نعم، غدًا.. اخترت مقهى قريب من المشفى وأعطيته عنوانه.

- كان يجب أن تخبره ألا يتصل بليلى ثانية.

- طبعًا فعلت وأعطيته رقمي حتى يتواصل عليه.

أغلق الهاتف وهو يفكر أن هذا الوغد قد لا يكون لديه أي معلومات تستحق، وأنه يسعى فقط وراء بعض المال، ولكن لا بد أن يستمعوا إلى ما سيقوله.

7

في اليوم التالي انتظر ثلاثتهم انتهاء اليوم الدراسي بفارغ الصبر. عانى كلًا من مازن وليلى التركيز في دروسهم، أما رماح والذي عادة ما كان يعل جيدًا كل هذه المعلومات سابقًا، انشغل عقله بوضع السيناريوهات المختلفة ثم تفنيدها. قالت ليلى عندما رأتهم عند بوابة المدرسة:

- يا الله! لقد كان يومٌ طويلًا بشكل غير عادي.. ظننت أنني سأموت مللًا في درس مسيو ليو.. هل ستذهبان الآن لتقابلا عم هاني؟

رد مازن سريعًا:

- نعم، يمكنكِ العودة إلى المنزل وأخذ قسط من الراحة، بمجرد أن توشك مقابلتنا على الانتهاء سوف أتصل بكِ لتلحقي بنا عند المشفى.

نجحا بصعوبة في إقناع ليلى بعدم الذهاب معهما لمقابلة عم هاني، تقبلت الأمر على مضض، أو هكذا أرادت أن تظهر لهما، ولكن حقيقة الأمر أنها شعرت بالخوف الشديد عندما تحدث إليها هذا الرجل على الهاتف، وأسرعت بإلقاء الهاتف إلى أخيها؛ ولذلك فهي ارتاحت بعدم ذهابها لمقابلته. كانت تعلم أنها لا تريد أن ترى هذا الرجل أو يقترب منها بأي شكل من الأشكال.

جلسا الاثنان في المقهى منتظرين ظهور عم هاني. جاء أخيرًا متأخرًا عن موعده نصف ساعة. كان رجلًا في منتصف الخمسينات من عمره، نحيف وطوله متوسط، كان قد صفف شعره بكمية كبيرة

من الدهان فبدا مزيتًا لامعًا، كانت تفوح منه رائحة التبغ حتى أن النادل القريب منهم جاء ليطالبهم بالذهاب إلى الجزء المخصص للتدخين ظنًا منهم أنهم يدخنون. افتتح حديثه بمجرد جلوسه قائلًا:

- حكت لي ثريا بأنكم مهتمون باكتشاف قاتل رفيدة.

أجابه رماح:

- هذا صحيح، وأنت أخبرت مازن بأن لديك معلومات قد تفيدنا في البحث!

- آه طبعًا، تلك الفتاة لطالما شعرت بأنها غير طبيعية، كانت لا تحب التحدث إلينا، لا أنا ولا حتى أمها.. أظن أنها كانت تحتقرنا بسبب تلك المدرسة الرائعة التي تذهب إليها. كانت تظن أنها أعلى منا قدرًا.

- هل رأيت مدرستها من قبل؟

- أنا.. لا.. أقصد...

صمت قليلًا، ولكنه أدرك أن الوقت قد فات على تصحيح ما قاله، فأكمل:

- نعم، لحقتها يومًا حتى أرى تلك المدرسة، لم أدخل بالطبع، لم يكونوا ليسمحوا لي على أية حال.

- ولماذا لحقت بها؟

- كنت أشعر بالفضول لرؤية المدرسة، ولكني أيضًا كنت أرتاب في تلك الفتاة كثيرًا.

- ماذا تعني بأنك كنت ترتاب فيها؟

- ماذا أعني؟ كل تلك الهدايا الثمينة التي تحصل عليها، والتي تدعي أن صديقتها الثرية تهديها إياها، ولكن ما أثار حفيظتي حقًا وجعلني مصممًا على تتبعها ذات يوم أنني قد وجدت مبلغًا كبيرًا من المال في غرفتها.. أخذته سرًا وكنت أعلم أنها لا بد أن تسأل عليه، ولكن لدهشتي لم تفعل، أخبرت أمها مرارًا وتكرارًا أن ابنتك ستجلب لنا العار وستضع رؤوسنا في الطين.

- ماذا تقصد؟ وكم كان المبلغ؟

- ثلاثة آلاف.. ماذا أقصد؟ هناك طريقة واحدة لتحصل فتاة مثلها على مبلغ كهذا والجميع يعرفها.

- هل اكتشفت شيئًا من تتبعك لها؟

- للأسف لا، لم أتوصل إلى شيء، كان كل شيء عاديًا؛ لذلك تخليت عن تتبعي لها بعد فترة، ولكني كنت أعرف أن هناك شيئًا ما، حتى لو لم أتوصل إليه.

- إذًا فالأمر كله مجرد ظنون منك؟

- ألا يكفيك كل ما سرقته إليك من الأدلة؟

- هل هذا كل ما لديك؟

- ماذا تعني؟ إنها معلومات قيمة يجب أن تبحثوا وراءها.

- بالطبع سنفعل، نشكر لك مساعدتك يا عم هاني.

- إذًا أين ما وعدني به صديقك؟

تدخل مازن أخيرًا وقد رسم على وجهه ابتسامة سمجة ادّخرها لآخر اللقاء.

- أولًا أنا لم أعدك بشيء، ثانيًا صدقني أن مساعدتك لنا لا تقدر بثمن.. ثالثًا لا بد أنه لن يرتاح لك بال حتى يُقبض على قاتل رُفيدة والتي من المفترض أنها بمثابة ابنة لك.. رابعًا إنك بالطبع لا تريد أن يزل لسان أحدهم أمام الشرطة ويخبرهم بأنك كنت تتعقب رفيدة سرًا.

- ماذا؟! ما الذي تقوله؟ ما دخل الشرطة؟

هز مازن كتفيه، ثم قال وهو يغادر المقهى هو ورماح تاركًا إياه مدهوشًا:

- وداعًا يا عم هاني.

ثم أخفض صوته وهمس:

- أتمنى ألا أرى وجهك القبيح ثانية.

ما إن أصبحا خارج المقهى حتي صاح مازن في غضب:

- رجل لئيم شرير، لكم أشفق على تلك الفتاة المسكينة أن تعيش تحت سقف واحد مع رجل كهذا.. لا بد أنه كان يسرقها عندما وجد تلك الأموال. هذا طبعًا إن صح ما يدعيه.

كان رماح شارد الذهن سارحًا في أفكاره الخاصة. قطع صياح مازن قائلًا:

- هل أرسلت إلى ليلى؟

- نعم، وتحركت إلى المشفى وأخبرتني أنها ستنتظرنا أمامها.

ركبا سيارة الأجرة وانطلقت بهما، سأله مازن بعد أن هدأ قليلًا:

- ما رأيك فيما قاله هذا الوغد؟

- لا أعلم، لم قد يكذب بشأن الأموال؟

- لأنه كان يتوقع أن يحصل على مكافأة قيمة منا نظير مساعدته، أمثاله قد يفعلون أي شيء للحصول على المال، حتى وإن كان على حساب تشويه سمعة فتاة ميتة.

أكملوا طريقهم في صمت، وبعد عشر دقائق نزلوا أمام مستشفى كبيرة. كانت ليلى بالفعل تقف أمامها في انتظارهما، لفت نظر رماح اسم المستشفى والذي كتب عليه أنه مشفى للأمراض النفسية. بادرتهم ليلى بالسؤال:

- كيف كان لقاؤكما؟

رد مازن وهم يدلفون إلى المشفى:

- سوف نحكي لكِ فيما بعد.

دخل ثلاثتهم صالة الاستقبال الرخامية وتوجهوا إلى مكتب الاستقبال، وقبل أن يسألوا الموظفة أي شيء ابتسمت لهم قائلة:

- لا بد أنكم قد جئتم لزيارة الأنسة مايا.. لقد حفظت زي مدرستكم، لا بد أنها فتاة محبوبة، فقد جاءها الكثير من تلاميذ مدرستكم للاطمئنان عليها. مؤسف ما يحدث هذه الأيام للشباب الصغير.

نظرت إلى رماح ومازن الذين ما زالا في زيهما المدرسي، ورسمت

على وجهها نظرة بائسة ثم أكملت:

- الأنسة مايا تمكث في جناح 305.. المصاعد في أخر الردهة يسارًا.

سألهم رماح بعد أن ابتعدوا قليلًا:

- هل لاحظتم اسم المستشفى؟

رد مازن قائلًا:

- نعم، هذا أمر طبيعي، فهذه محاولة انتحار.

- لقد تم اكتشاف ذلك بعد أن نقلت إلى المستشفى بالفعل.

تبادلوا النظرات المتسائلة في الوقت الذي فتح فيه باب المصعد. قالت ليلى لعامل المصعد:

- غرفة 305.

ضغط العامل على زر الدور الثالث، عندما توقف المصعد قال لهم بأدب:

- توجهوا يمينًا لتجدوا الجناح.

ساروا في ردهة شديدة البياض تفوح منها رائحة المنظفات والمطهرات حتى وجدوا أنفسهم أمام باب أبيض مكتوب عليه 305. سأل مازن في توتر:

- من سيدخل؟

- ثلاثتنا.

ارتاحت ليلى لسماعها جواب رماح، فهي لم تحب لقاء مايا بمفردها،

فهي على يقين أن الفتاة تكرهها وقد أوضحت لها ذلك أكثر من مرة. طرقوا الباب حتى سمعوا صوتًا أنثويًا يأذن لهم بالدخول. كانت تقف في منتصف الغرفة الرحبة والمؤثثة وكأنها غرفة في فندق امرأة في الخمسين من عمرها جميلة لها نفس شعر مايا المجعد ويحمل وجهها نفس الابتسامة الجذابة:

- أهلًا بكم، لا بد أنكم أصدقاء مايا.. هي نائمة الآن، ولكن أظنها ستستيقظ خلال وقت قصير، فهي نائمة منذ ساعتين على الأقل بعد أن أخذت دواءً مهدئًا كما أخبروني.. لقد جئت أنا أيضًا منذ قليل.

نظرت إلى ابنتها النائمة في حنان، والتي بدت شاحبة ثم تنهدت وقالت:

- المسكينة لقد كان كل ذلك كثير عليها لتتحمله، مقتل رفيدة بهذا الشكل البشع رغم أني كررت لها أكثر من مرة أنها لا يجب أن تحزن بهذا الشكل على تلك الفتاة. إنها لا تستحق ذلك بكل تأكيد.

شعروا بالصدمة من حديثها بهذا الشكل الفظ. قال مازن في تردد كمن فاته شيئًا جعل الأمر عصي على الفهم:

- عذرًا، ولكن ما فهمته أن رفيدة كانت صديقة مايا المقربة منذ الطفولة.

تنهدت المرأة في شيء من الحسرة وقالت:

- للأسف، هذا صحيح تمامًا.. كانتا كأختين، كنت أعاملها كابنة لي، ولطالما كان مرحب بها على الدوام في بيتنا، ولكني اكتشفت أنها فتاة شريرة غير سوية. حدث هذا منذ عدة أشهر عندما حاولت مايا

الانتحار، بالكاد أنقذتها وبدأت علاجًا نفسيًا في هذه المستشفى ليكتشف الأطباء أن مايا تعاني من تنمر واضطهاد من قبل تلك الفتاة غير السوية.. كانت تمارس عليها شتى أنواع التنمر، بدءًا من السخرية من شكلها ونعتها بأوصاف مثل: قبيحة، وغبية، وغيرها.. كل ذلك في الخفاء دون أن تظهر ذلك الوجه لأي احد أخر غير مايا، بالعكس كانت تستمتع بالتظاهر بأنها ضعيفة ولا حيلة لها، والحقيقة أنها كانت تستمتع بالسيطرة على مايا وتَمَلُكها بشكل مريض. أخبرني الأطباء أنها كانت تغار من مايا، وهذه طريقتها السامة لتثبت لنفسها أنها أفضل منها.. وللأسف الشديد على الرغم من انطلاق وحيوية مايا إلا أنها كانت تعاني من تدني لتقدير ذاتها وتعطش للاهتمام، يؤسفني أن أعترف بذلك، ولكنها الحقيقة. ذات مرة قامت إحدى الصديقات بدعوة مايا على حفلة ميلادها، ولأجل مايا قامت بدعوة رفيدة على مضض، ولكن تلك الفتاة المسماة رفيدة رفضت الدعوة وأجبرت ابنتي على رفض الدعوة أيضًا، وعندما حاولت مايا إقناعها أخذت تسبها بأبشع الأوصاف، وتهددها بأنها ستقطع علاقتها بها إن ذهبت للحفل.

كان رماح يعلم أن بعض الأمهات يكن متحاملات على أصدقاء أولادهن رغبة في حمايتهم.

- ربما لم يكن الأمر بهذا السوء، ربما مايا كانت حساسة بعض الشيء.

قال ذلك محاولًا استفزاز المرأة لتبرهن على ما تقول، وقد نجح في ذلك. قالت المرأة في غضب:

- عندما دخلت مايا إلى المستشفى أول مرة كان من الضروري

مراقبة هاتفها حتى نفهم ما الذي دفعها إلى الانتحار.. لقد احتفظت بأخر رسالة بعثتها رفيدة لمايا، بحثت عن هاتفها، ثم فتحته وبدأت تقرأ:

"لن أسمح لكِ بالذهاب أيتها الخنزيرة القبيحة مهما توسلتِ إليّ. إذا ذهبتِ فاعلمي أنني سوف أبصق في وجهك القبيح الذي بالكاد أتحمل رؤيته. يا لكِ من غبية! إنهم لا يحبونكِ ويدعونكِ فقط ليسخروا منكِ، ليس هناك من يتحمل غبائكِ وقبحكِ سواي أنا."

لقد احتفظت بتلك الكلمات حتى أذكر نفسي بمدى سوء هذه الفتاة، رفيدة كانت مريضة نفسيًا وابنتي كانت ضحيتها المثالية.

- اسمح لي أن أسألك هل وجدت ما يدل على أن رفيدة تستغل مايا ماديًا؟

- بالطبع، كانت تطالبها بالكثير من المال والهدايا، أنا ووالد مايا نغدق عليها ولا نرفض لها طلبًا، ربما بسبب انشغالنا الطويل في العمل، لذلك فقد استغلت رفيدة الأمر لصالحها واستنفذت مايا ماديًا ومعنويًا.

- كفى يا أمي.. كفى! ألا تملين من ثرثرتك؟! ألا يكفيكِ ما أنا فيه؟! الآن تتحدثين مع الغرباء عن خيبتي لتتحدث المدرسة كلها عني؟

كانت مايا قد استيقظت على صوت أمها وتصرخ بطريقة هستيرية.

- مايا.. حبيبتي.. إنهم ليسوا غرباء، إنهم أصدقاؤك.

- أصدقائي! ألا تفكرين قليلًا؟ هل رأيتهم من قبل معي مثلًا، ولكن كيف لكِ أن تعرفي؟! فأنتِ مشغولة جدًا بشركتك لتعرفي أي شيء

عن ابنتك.. أصدقائي هؤلاء يحاولون إثبات أنني من قتلت رفيدة.

صاح مازن قائلًا في غضب:

- هذا غير صحيح يا مايا، نحن نريد القبض على القاتل لا إلصاق التهمة بشخص معين، لماذا ترفضين مساعدتنا؟

- لأنني أريد أن أنسى كل شيء عنها، لا أريد أن أتذكرها أو أتذكر أي شيء خاص بها. لماذا لا تتركوني وشأني؟ ابتعدوا عني.

كانت تصرخ وتبكي بأعلى صوتها، هرعت إليها أمها لتهدئتها وضغطت سريعًا على زر فوق سريرها لتستدعي الممرضات. هرعت إحداهن إلى الغرفة ووضعت حقنة في المحلول الذي يتصل بيد مايا. وقفت والدة مايا حائلًا بين ابنتها وبين ثلاثتهم وكأنها تحميها منهم، وقد عقدت ذراعيها على صدرها وأصبح وجهها صارمًا وصاحت في وجوههم:

- يجب أن تذهبوا الآن، وأحذركم أن تقتربوا من ابنتي ثانية. هيا اذهبوا قبل أن أطلب الأمن لإلقائكم خارج المستشفى.

خرج ثلاثتهم سريعًا قبل أن تنفذ أم مايا تهديدها، لم يتبادلوا أي كلمة، بل انطلقوا في أعقاب بعضهم بعضًا في خطى حثيثة حتى خرجوا من بوابة المستشفى، وقفوا يلتقطون أنفاسهم، ثم قطعت ليلى الصمت:

- هل تصدقون ما قالته عن رفيدة؟

رد عليها مازن وهو يهز كتفيه وما زال يلهث:

- لا أرى سببًا يجعلها تكذب فيما قالته.. بدا الأمر كما لو أنها تفضفض بمكنون صدرها دون تفكير حتى. كما أنه يتفق مع ما قصه علينا الرجل الوغد.

- ماذا تقصد؟ أخبراها بكل ما قاله عم هاني.

- لا أعرف إن كان يعتد بكلام مثل هذا الرجل، ربما تقول أم مايا ذلك لحماية ابنتها.

- وتصادف أن يقول الاثنان نفس المقالة!

- بالضبط يا مازن، ألا ترى الأمر غريبًا؟! وكأنهما متفقان معًا على هذا الكلام. هل يمكن أن تكون أم مايا هي التي دفعته لمقابلتنا وقول هذا الكلام لتحمي ابنتها؟

- لم تعلم أم مايا بقدومنا، ولا يوجد شيء يدفعنا للاعتقاد أن هناك صلة بين عم هاني وأم مايا يا ليلى.

زفرت ليلى وعقدت حاجبيها مفكرة، ثم سألت:

- ما رأيك يا رماح؟

- ما قالته أم مايا قد يسيء إلى موقف مايا، فقد جعلت لابنتها دافعًا قويًا لبغض رفيدة، ومن ثم الانتقام منها.

- ما تقوله قد يكون صحيح، ولكن هناك وجه آخر.. إنه يعطي انطباعًا بأن رفيدة هي محور الشر وابنتها الملاك البريء.

سكتت برهة، ثم أردفت:

- أصدقك القول، لو أن أمي تحدثت بهذا الشكل عني لغضبت غضبًا

عارمًا. إنه من الحمق أن تتحدث بأمور كهذا مع أشخاص لا تعرفهم.. لا عجب أن ابنتها انهارت بهذا الشكل.

أومأ رماح وهو شارد في أفكاره الخاصة. قطعت ليلى الصمت بعد أن أحست أن رأسها يطن من كثرة الأفكار:

- مازن.. يجب أن نعود إلى المنزل، كانت أمي منزعجة اليوم من خروجنا بعد المدرسة المتكرر في الفترة الأخيرة، وقد أقنعتها بأنك تحاول أن تخفف عني بعد ما حدث، ولكنها بدت متوجسة مما أقول.

أوقف مازن سيارة أجرة ليستقلوها، أما رماح فقد أخبرهما أنه يريد التمشي قليلًا قبل أن يعود لمنزله. أخذ يفكر وهو يمشي فيما قالته والدة مايا، والتي لا يعرف اسمها حتى الآن. إنه يتماشى مع ما قاله عم هاني، يمكنه بطريقة ما التأكد من قصة انتحار مايا من المستشفى. لن يكون الأمر سهلًا فهذه، المستشفيات تكون ملفات المرضى والنزلاء فيها على قدر كبير من السرية، ولكنه قد يجد طريقة. إن صدقت الأم في قصة انتحار مايا، فقد تكذب في الدوافع الحقيقية وراء هذا الأمر. رن هاتف رماح فقطع عليه أفكاره. رأى اسم سمير صادق صديق جده الشرطي المتقاعد. استغرب اتصاله لأنه تحدث معه أمس وأخبره أنه لم يحصل على أي جديد. هل يمكن أن يكون قد جد جديدًا؟ ما إن فتح الخط حتى عاجله قائلًا:

- رماح.. حصلت على معلومات بخصوص ما طلبت.. ما إن وصلت إليّ حتى أدركت أنها معلومات قيمة، فاتصلت بك فورًا.

- كنت أعلم أنك لها، ما الذي حصلت عليه؟

- ألم تقل أن الفتاة التي قتلت طالبة معكم في المدرسة؟

- نعم.

- غريبة.

- ما الغريب في الأمر؟

- أخبرتني أن والدها الثري قد مات وهي بعد طفلة صغيرة.

- نعم، هذا ما أكدته أمها.

- لقد مات والدها ناصر أحمد الجباس بالفعل منذ زمن، ولكن والدها لم يكن ثريًا، لقد كان عاملًا بسيطًا في أحد مصانع النسيج، وليس هناك عائلة عريقة ولا أي شيء من هذا.. لقد كان من عائلة بسيطة من دمنهور. هناك من يضللك عن قصد يا رماح. السؤال لماذا؟

ظل رماح صامتًا وهو يحاول استيعاب المعلومات الجديدة، ثم قال وكأنه يحدث نفسه:

- نعم، هذا هو السؤال؟

- رماح أنت مثل ابني.. هذه جريمة قتل ويجب أن تأخذ حذرك.

- بالله عليك يا عمو سمير لا تقل لجدي أي شيء.

- لماذا تهتم بالأمر أساسًا؟ هذا عمل الشرطة، اترك شأن التحقيق لهم.

- إنه مجرد فضول ليس أكثر.

صمت الشرطي المخضرم وكأنه غير مقتنع بما يقوله رماح، ثم تنهد في استسلام وقال:

- اسمع، لطالما قال عنك جدك أنك عبقري، ولكن لا تفعل أي شيء قد يعرضك للخطر ولا تتردد في طلب المساعدة مني.

أغلق رماح الهاتف وعقله يعمل بسرعة. لماذا كذبت ثريا بشأن والد زفيدة؟ لأنهم إن علموا أن والد زفيدة عامل بسيط فكيف ستفسر وجود ابنتها في واحدة من أكثر المدارس تكلفة؟ لقد كانت هي من تحدثت يومها عن والد زفيدة لتفسر كيف التحقت ابنتها بمدرستهم باهظة التكاليف.. هل اخترعت أمر الوالد الثري لتبرر هذا الوضع الغريب بالنسبة لظروفها المالية؟ لا بد أن يعودوا ثانية إلى ثريا ليعلموا منها حقيقة الأمر. هناك سر غامض وراء هذا الأمر.

8

في اليوم التالي في المدرسة عندما قص على مازن ما أخبره به اللواء سمير أمس، كانت الدهشة والذهول تعلو وجه مازن غير مصدق:

- هل أنت متأكد أنه والد زفيدة؟ من الممكن أن يحدث التباس في الأسماء! يحدث هذا أحيانًا.

- طبعًا متأكد يا مازن.. إنه شرطي متقاعد وليس بقالًا.

ظهر على وجه رماح الضيق من سؤال صاحبه، والذي رآه سؤال غبي حقًا.

- إذًا علينا زيارة ثريا ثانية.

- نعم، ولكن المشكلة بأي عذر سنذهب إليها هذه المرة؟

- لا أعرف حقًا، ربما تستطيع ليلى اختلاق عذرًا ما، إنها بارعة في ذلك.

عندما قابلوا ليلى في أخر اليوم الدراسي وأخبروها بما قاله اللواء سمير قالت وهي تقطب جبينها مفكرة:

- لا أعرف، لا يبدو لي أن ثريا تكذب عندما أخبرتنا بهذه القصة.

رد عليها مازن وفمه ممتلئ بسندوتش البرجر الذي اشتراه لأنه كان يتضور جوعًا:

- وهذا يعلمك يا أختي العزيزة ألا تثقي بالمظاهر أبدًا.

نظرت إليه بازدراء، ثم قالت:

- بدت لي صادقة بعيدًا عن المظاهر.. اسمعا سوف أتصل بها وأخبرها بأنني سمعت في المدرسة أحاديث عن زفيدة ضايقتني وأريد أن أتحدث معها بشأن ما سمعت. لن ترفض ذلك.

سألها مازن:

- ولكن ماذا لو سألتك عن طبيعة ما سمعتيه؟

- لا تقلق، سأخبرها أن الموضوع يطول شرحه ويجب أن أراها لأشرح لها.

- لن تذهبي بمفردك هذه المرة، سنذهب ثلاثتنا.. الله وحده يعلم ما تخفيه هذه المرأة.

قال رماح ذلك بلهجة حازمة وأومأ مازن بقوة موافقًا إياه ثم أردف:

- واطلبي منها أن تكونا بمفردكما حتى تستطيعي التحدث معها بأريحية.

- جيد، سوف أتصل بها الآن.

أخرجت هاتفها ثم ابتعدت عنهم وبدا على وجهها التركيز، ثم عادت بعد قليل وقالت:

- أشعر بتأنيب الضمير، أثار حديثي قلقها الشديد.. تبقى الأم أمًا حتى بعد أن يواري التراب أبنائها.

بدا عليها التأثر الشديد، حتى أن مازن فكر في أن يحتضنها، ولكنه تراجع عن الأمر، ثم قال كمن أفاق فجأة على حقيقة مرة:

- يجب أن نفكر في حجة جديدة لنقولها للست الوالدة يا ليلى.

- سنخبرها الحقيقة.

- ماذا؟! أماه إننا نحقق في جريمة قتل خطيرة، ولكن لا تقلقي؟! ستصنع منا أمك لحمًا مفرومًا.

- سأخبرها أنني ذاهبة لزيارة والدة صديقتنا التي ماتت ومواساتها، وستجبرك أمي بأن تصحبني خاصة عندما تعلم بأني لا أعرف العنوان جيدًا.

- آه فهمت، هذا جيد رغم أني اخشى ذلك اليوم الذي قد تكتشف فيه أمنا ما نحن بصدده.. متأكد أنها ستضع اللوم كله عليّ وسأنال أنا العقاب الكامل.

وافقت أمهم بشق الأنفس على نزولهم هذه الليلة وهي التي ترى أن امتحانات الفصل الدراسي الأول قد اقتربت وهم غير مبالين بالأمر. في النهاية اكتفت بتهديدهم أن درجات سيئة في هذا الفصل تعني حرمانهم من السفر الذي يخططون له في إجازة منتصف العام. عندما استقلوا سيارة الأجرة بعد أن مروا على رماح ليركب معهم سألت ليلى:

- كيف سنبدأ الحديث؟ يجب أن تكون لدينا خطة.

أجابها رماح سريعًا:

- أنا لدي خطة، اتركا الأمر لي وثقا بي.

عندما وصلوا إلى وجهتهم، خيم عليهم صمت ثقيل وكأنهم مقبلون

على مهمة ثقيلة. وقفوا أمام الباب حتى فتحت لهم ثريا والتي بدا عليها الدهشة والتوجس عندما رأت مازن ورماح مع ليلي:

- أهلًا بكِ يا ليلى، لم تخبريني بأنهما سيكونان معك.

بدت لهجتها مؤنبة وهي تشير إلى الولدين والتي لم تتذكر اسميهما. قالت ليلى وكأنها متفاجئة:

- حقًا! لا بد أني نسيت.. آسفة حقًا، أتمنى ألا يضايقك الأمر.

وقفت المرأة تنظر إليهم في حذر، ولكنها حسمت أمرها ويبدو أن فضولها قد انتصر على شعورها بالضيق من مجيء الولدين بغير دعوة وقالت في النهاية:

- تفضلوا بالدخول.

تركتهم ثم عادت بعد وقت قصير تحمل صينية عليها أكواب من الشاي وكوب من العصير:

- أتمنى أن تكونوا من محبي الشاي، لو كنت أعلم بقدومكما مع ليلى لكنت أحضرت مزيدًا من العصير.

قال مازن وهو يتناول كوبه بابتسامة ليلطف الجو:

- أنا من عاشقي الشاي، شكرًا لكِ سيدة ثريا.

سألها رماح دون سابق إنذار كعهده:

- لماذا كذبتِ علينا بشأن والد زفيدة سيدة ثريا؟

نزل السؤال عليها كالصاعقة، ولكنها استجمعت شتات نفسها سريعا

وقالت بحدة:

- كيف تجرؤ على الحديث معي بهذا الشكل؟ وبأي صفة تسألني هذا السؤال؟

- كما أخبرناكِ من قبل، إننا مهتمون بمعرفة من قتل ابنتك.. وأظن أنكِ مهتمة بذلك أيضًا.

- وإن رفضت التجاوب معك أيها الولد ماذا ستفعل؟

أجابها رماح مهددًا:

- سأحرص على أن يصل الأمر للشرطة بطريقتي الخاصة، ولكني لا أريد ذلك سيدة ثريا، حقًا لا أريد أن أسبب لكِ أية متاعب، ولكن حجبك لمعلومات قد يكون لها علاقة بموت ابنتكِ أمر خطير.

- ما تسأل عنه ليس له أية علاقة بموت زفيدة، إنه أمر قديم وخاص، كما أنني لم أكذب.

- إذًا أخبرينا حتى لا نظن الظنون.. يجب أن نبحث في كل أمر مهما بدا بعيد وتافه، كما أنني أتعهد إليكِ إن كان الأمر لا علاقة له بالجريمة فلن يخرج من هذه الغرفة.

نظرت إليه المرأة وكأنها تزن الأمور سريعًا ثم قالت:

- كما أخبرتك، أنا لم أكذب عليك.. والد زفيدة فاحش الثراء.. الأمر أن...

صمتت برهة ثم قالت:

- زفيدة منسوبة لرجل آخر غير والدها الحقيقي.

نظر الثلاثة إلى بعضهم البعض، أردفت في خجل:

- نعم، هذه هي الحقيقة، بعد أن علم أهله الأثرياء بزواجه مني عرفيًا، أجبروه على إنهاء الزواج وتمزيق العقد العرفي؛ ولأني كنت حاملًا بزفيدة وبسبب رفضي إجهاضها، جاء زوجي بهذا الرجل البسيط وأعطاه المال ليتزوجني على الورق، ونُسبت إليه زفيدة المسكينة، ولكني لم أره ولم أعرف عنه أي شيء سوى اسمه.. لم يكن أمامي حل آخر سوى أن أقبل أو أن أقتل ابنتي. ثم علمت من عدة سنوات بموت الرجل، كل ما قلته لكم في المرة السابقة كان حقيقيًا ولم يكن هناك داعٍ لأخبركم بمثل هذا الأمر الخاص والمحرج.. أرجو من ثلاثتكم أن يبقى الأمر طي الكتمان، وليس هناك داعٍ لأن تسألوني عن هوية والد زفيدة لأني لن أخبركم.. كل هذا أمر خاص بي لا علاقة له بالجريمة، أتمنى أن تتفهموا كم هو مزعج الحديث عن أمر كهذا، لا يمكنني الحديث أكثر من هذا؛ لذا أرجو منكم الرحيل وعدم إزعاجي ثانية.

اكتسى حديثها بإحساس مهين من الخزي والعار. قامت واقفة معلنة انتهاء الزيارة التي لم تكد تبدأ، قام ثلاثتهم على إثرها وقادتهم إلى الباب. عند الباب وقف رماح ليقول:

- سيدة ثريا، نحن آسفون على فتح جراح قديمة قد اندملت مع الزمن.

قاطعته قائلة:

- لم تندمل قط يا ولدي، لا داعي للأسف إن كان هذا ثمن الكشف عن

قاتل زفيدة والقصاص منه، لا أبالي.. في النهاية لقد دفعت زفيدة ثمن كل أخطائي.

تهدج صوتها واغرورقت عيناها بالدموع، ثم أغلقت الباب دون أن تزيد عن ذلك.

خيم الصمت عليهم بعد أن تركوا ثريا. ساروا في الشوارع الضيقة غير الممهدة إلى أن وصلوا لشارع رئيسي حيث يمكنهم أن يستقلوا سيارة أجرة. سألهم رماح:

- هل تصدقونها؟

صاحت ليلى والتي بدت أكثرهم تأثرًا بدموع المرأة:

- نعم، تبدو لي صادقة.. يبدو ألمها حقيقيًا، حتى إنه يؤلمني حقًا.

نظر إلى مازن ثم سأله:

- ماذا عنك يا مازن؟

- لماذا لم تخبرنا بهوية الوالد؟

سأل وهو شارد الذهن، ثم أجابه رماح:

- هذا سؤال وليس إجابة، ولكنه سؤال جيد.

قالت ليلى في غيظ:

- لأنه أمر خاص، ولأنها تخاف منه أيضًا.. بدا عليها الخوف الشديد وهو أمر طبيعي لأنه فاحش الثراء بلا قلب. لن يرحمها إن جاء ذكر اسمه في جريمة كهذه.

- من أين عرفت بموت الوالد المزيف؟

سأل مازن ثانية وكأنه يحدث نفسه، أجابه رماح:

- ربما من الوالد الحقيقي، يبدو أنها ما زالت على اتصال معه وإن أنكرت ذلك.. من الضروري أن تعلم هي وزفيدة بموت الرجل حتى لا يثيرا الشكوك.

قالت ليلى في سأم:

- لقد تعبت يا مازن، هيا أوقف سيارة لنذهب إلى البيت.

أحس رماح فجأة بأنه غير مرحب به معهما وقال لمازن:

- سوف أتمشى قليلًا قبل أن أذهب إلى البيت.. أراك غدًا في المدرسة.

بعد أن تأكد مازن أن صاحبه قد ابتعد عنهما، التفت إلى ليلى وسألها في نبرة مؤنبة:

- لقد تعمدتِ إحراجه.. لماذا فعلتِ هذا؟

لم تنكر ليلى وقالت في حنق:

- هو مصمم على تكذيب هذه المرأة المسكينة المكلومة في ابنتها.. يود لو أن يلقي بالتهمة عليها.

- لم يلمح إلى هذا، نحن فقط نطرح الأسئلة، ونتتبع الخيوط؛ هذه هي الطريقة الوحيدة لكشف الحقيقة حتى وإن قادت في النهاية إلى هذه المرأة.

- هل أنت مجنون؟! إنها أمها.

- لم أعد أستغرب شيئًا في هذا الزمان العجيب، ولكني لا أقول أني أشك فيها، كل ما أقصده أننا يجب أن نبحث وراء كل خيط يا ليلى.

- أيًا كان ما تقوله يا مازن، هيا بنا، لا يجب أن نتأخر على أمك.. لقد كان تهديدها اليوم لنا مخيفًا ولن يقتصر الأمر على الحرمان من السفر في الإجازة، أنا أعرفها جيدًا عندما تتحدث بهذا الشكل المخيف.

سار رماح قليلًا وهو يحاول أن يبعد عن ذهنه وقلبه الضيق الذي شعر به عندما تحدثت ليلى منذ قليل، بدا له أنها أرادت أن يرحل بأي شكل، وكأنه قال ما ضايقها، بصعوبة حاول صرف ذهنه عن التفكير في الأمر. في النهاية حتى يوقف هذا الجدال الدائر والثائر داخل عقله، أخرج هاتفه ليتصل بصديق جده.

- أهلًا عمو سمير، لدي بعض الأخبار الجديدة.

بعد أن قص عليه كل ما قالته ثريا سأله سمير:

- هل تصدقها؟

- لا أعلم حقًا، ولكني تذكرت أمرًا مهمًا وأود منك التحقق منه، أخبرتنا ثريا من قبل أنها تزوجت بصاحب المصنع التي كانت تعمل فيه، وقد قالت أن والد زفيدة المزيف كان يعمل في مصنع نسيج.. فكرت أنه من الممكن أن يكون نفس المصنع؛ لذلك أود منك معرفة اسم المصنع الذي كان يعمل فيه ناصر أحمد الجباس.

- وبذلك يمكنك التحقق إن كانت ثريا قد عملت فيه من قبل،

وبالتالي تتعرف على والد زفيدة، ولكن ألا تظن أن الأمر كما أخبرتكم هذه السيدة بعيد عن الجريمة؟

- نعم، قد يكون هذا صحيح، ولكنه الخيط الوحيد الذي بين أيدينا الآن.. وسيكون من الحمق ألا نبحث وراءه.

- هذا صحيح، انتظر مني مكالمة خلال أيام قليلة، لا أخفيك سرًا هذه الجريمة بدأت تثير فضولي بالفعل.

عندما قابل مازن في اليوم التالي في المدرسة، شعر أن صاحبه يحدثه بلطف زائد وكأنه يحاول الاعتذار بطريقة ضمنية عن إحراج ليلى له الليلة السابقة، وقد زاد هذا من ضيقه بشدة وتملكه الفضول أن يسأل عن سبب انزعاج ليلى إلا أنه أحجم عن الأمر مخافة أن يظهر عليه اهتمامه بها.

كانت ليلى تقف على مرمى بصرهم مع فتاة تعطي لهم ظهرها. سأل مازن في توجس:

- هل هذه مايا أم أنني أتخيل؟ لقد سمعت أنها قد حضرت إلى المدرسة اليوم بعد أن خرجت من المستشفى أمس.

دارت الفتاة وهي تتحدث وكأنها تتأكد أن أحدًا لا يسمعها فتأكد رماح أنها هي بالفعل.

- إنها هي، لا بد أنها غادرت المستشفى بعد أن رحلنا.. ظننت أنها ستمكث مدة أطول في المستشفى.

- اسمع، سوف أذهب إليهما، لا أريد ترك ليلى بمفردها في هذه المهاترات.. أظن أن هذه التحقيقات تؤثر عليها سلبًا بشكل كبير..

كانت أمس غاضبة وقلقة ومتعاطفة مع ثريا بطريقة غريبة، كما أنها عانت من الكوابيس ليلًا وأخذت تصرخ وهي نائمة.. حتى أن أمي قد اضطرت للنوم بجانبها حتى تطمئن.

قالت ليلى وهي تضيق عينيها في توجس:

- وكيف عرفت ذلك؟ ألم تكونا على خصام ولا تكلم إحداكما الأخرى في الفترة الاخيرة؟

- أنا لم أكن أكلم زفيدة بعد ما أدركت حجم الأذى الذي لحق بي منها، أما هي فقد استمرت في التواصل معي دون تجاوب مني وإرسال الرسائل الغاضبة والمهددة تارة والمتوسلة تارة أخرى، وفي الأخيرة كانت تحكي لي أحيانًا عن مستجدات حياتها حتى تثبت لي أنها تعيش حياة طبيعية وسعيدة، وأنها أصبحت أفضل. حدث أن أرسلت لي يومًا تحكي لي عن صديقها الجديد، الحقيقة أنني ظننت أنها تدعي الأمر، ولكني الآن بعد التفكير أظن أنه يجب عليكم البحث في الأمر.. ألا تحاولون الكشف عن قاتلها؟

- صحيح، هل ما زالت معك هذه الرسالة؟

- للأسف، أجبرتني أمي على مسح كل ما هو متعلق برفيدة من صور ورسائل وصممت على بيع الهاتف حتى، وتغيير رقمي عندما أدركت أن زفيدة ما زالت تحاول الاتصال بي، حتى أنها منعتني فترة من إعطاء رقمي الجديد لأصدقائي، إلا أنني أقنعتها في النهاية أن لا أحد منهم قد يعطي رفيدة رقمي؛ لأن ببساطة لا يحبونها. رفيدة لا أصدقاء لها، ولم تكن تتحدث إلى أحد.

- ولكن ما الذي جعلكِ تقررين مساعدتنا الآن؟

- لقد عرفتم كل شيء بالفعل، في البداية لم أحب أن يبحث الناس في صداقتي البائسة مع زفيدة ويكتشفون كيف كانت تعاملني وتتحدث المدرسة كلها عن ذلك، لقد كان يناسبني أكثر أن أبدو المسيطرة الشريرة بدلًا من أن يشعر الجميع نحوي بالشفقة، أما الآن فالأطباء يؤكدون على أنه يجب عليّ مواجهة الأمر حتى أستطيع أن أتخطاه، ورغم كل ما حدث، فإنني أتمنى أن ينال هذا الوغد القاتل جزاءه.

بعد أن انتهت من حديثها، لاحظت أن ليلى تنظر إلى أحدهم من وراء كتفها. التفتت لترى مازن فابتسمت ابتسامة واهنة مستسلمة:

- أهلًا مازن، آسفة إن كان لقاؤنا بالأمس عاصفًا، لقد تحدثت أنا وأمي أمس بعد أن رحلتم، وأخبرتها بكل ما في قلبي وتعاهدنا على فتح صفحة جديدة وأقنعتني أنه يجب أن أتحدث إليكم لأوضح بعض الأمور.

التفتت مرة أخرى إلى ليلى، ولكنها وجهت حديثها هذه المرة للاثنين بعد أن انضم مازن إلى جانب ليلى:

- آه.. سمعت اليوم عن ولد اسمه آسر يتحدث عن زفيدة ويقول... إنما أنقل عنه فقط!

نطقت آخر كلماتها ببطء لتؤكد عليها، وأردفت:

- إنها تستحق ما حصلت عليه، وأن ما حدث لها كان نتيجة أفعالها الشريرة الحمقاء، وأشياء مثل هذا، لم أفهم تمامًا من سلمى والتي

نقلت كلامه من فتاة أخرى.. هو في الصف التاسع على ما أظن.. يمكنكم الحديث معه لتفهموا منه ما الذي يعنيه، يجب أن أذهب الآن حتى لا يعاقبني بروفيسور فيفيان على التأخير.

جرت في اتجاه فصلها دون أن تزيد كلمة أخرى كمن يخشى أن يفوته موعد طائرته. سأل مازن:

- والآن.. ماذا عن آسر هذا؟ هل تظنين أنه صديق رُفيدة التي حكت عنه لمايا؟

- ربما، رغم أنه يصغرها بعامين، ولكن هذه أفكار قديمة لم تعد تهم أحدًا هذه الأيام، ولكن لا تنسَ ربما اخترعت كل هذا لتتلاعب بنا، وعلى كل حال يجب أن تحاول أن تقابله لترى ما عنده.

- آه.. سوف أفعل ذلك، ولكن ربما في فترة الراحة الثانية.

كان صديق مازن مالك يعرف آسر لأنهما يذهبان إلى نفس النادي ويلعبان الجودو معًا في إحدى الفرق؛ لذلك فقد طلب منه مازن أن يذهب معه، وأخبره صراحة أنه يريد أن يتحدث معه بشأن رفيدة حيث غُرف عن مازن في الوقت الحالي اهتمامه بالجريمة بسبب أخته ليلى التي وجدت الجثة. كان آسر يقف وسط حلقة من أصدقائه في فترة الراحة، كان صبيًا ضخمًا يبدو أكبر من سنه وإن بدا عليه الغباء الشديد. كان لديه نظرة بلهاء على وجهه، وبدا أن من حوله يخافونه بسبب قوته وغبائه معًا. همس مازن لرماح حتى لا يسمعه مالك:

- الآن نعرف لماذا لم تهتم رفيدة بكونه أصغر منها.

ثم وجه حديثه لمالك والذي كان يسبقهما بخطوات قليلة:

- اسمع يا مالك.. نفضل أن نتحدث معه بمفرده دون وجود أصدقائه.

- أكيد.

سار مالك باتجاه حلقة الأصدقاء وضحك معهم قليلًا ثم عاد ومعه آسر. حياهم آسر بنظرة مزهوة قائلًا:

- أهلًا يا شباب.. ما الأمر؟

- هذا مازن صديقي ورماح، إنهم يودون الحديث معك بخصوص رفيدة، رغم أني لا أعرف ما دخلك في الأمر!

بدا أن آسر يستمتع بهذا الاهتمام المفاجئ، وقد قرر أن يستمتع به، نفش شعره بيده وقال:

- آه.. تلك العاهرة، لقد صُدمت عندما اكتشفت الأمر، ولكن الآن بعد أن عرف والدي سأخبر المدرسة كلها بحقيقتها.

اندهش مالك لغضب آسر وسأله مذهولًا:

- مهلًا، مهلًا.. ما الأمر؟

- تلك العاهرة كانت تبتزني.. هل تتخيل؟

صاح الثلاثة في نفس واحد:

- ماذا؟!

- نعم، بداية الحكاية عندما أُرسلت لي على هاتفي صورًا من رقم غريب منذ ثلاثة أشهر تقريبًا وأنا أدخن الحشيش مع أصدقائي.. من

أرسل الصور هددني بفضح أمري عند والدي إلا إذا دفعت ثلاثين ألف جنيه.. طبعًا لك أن تتخيل ما الذي سيفعله أبي إن شاهد تلك الصور؟ لم يكن معي المبلغ بالطبع، فاضطررت لبيع هاتفي والذي كان باهظ الثمن وجديدًا، بالكاد استخدمته لشهر واحد واضطررت أن أدعي بأنه قد سرق مني لأبيعه ودفعت المبلغ، غضب أبي غضبًا شديدًا من ضياع الهاتف، ولكنه لا يقارن طبعًا بغضبه إذا ما رأى تلك الصور الفاضحة.

قال مالك ممازحًا آسر وكأنه يحذره بلطف:

- كيف تحكي هذا أيها الأحمق؟! سيشتبهون بك، سيقولون أنك من قتلتها! والحقيقة لن ألومهم حينها.

- لو كنت عرفت هويتها يومئذٍ أقسم بأنني كنت لأفعلها، ولكني لم أعرف هويتها إلا عندما طلبتني الشرطة أمس للتحقيق في جريمة القتل.. لقد ذعرت وأخبرت أبي وأنا أموت رعبًا.. لم أربط بين الجريمة والابتزاز الذي حدث معي، ولكن عندما بدأت الشرطة التحقيق معي سألتني ما الذي يربطني بزفيدة، ولماذا دفعت لها ثلاثين ألف جنيه، عندها فقط أدركت الأمر.. تلك الـ*** كانت تحتفظ باسمي والمبلغ الذي دفعته لها، ولقد وجدت الشرطة تلك الملاحظة في إحدى دفاترها في حقيبتها المدرسية التي تحفظوا عليها، ويبدو أنه قد استغرقهم بعض الوقت حتى يلاحظوا تلك الملاحظة ويدركوا أهميتها؛ لذلك لا يهمني، فقد عرفت الشرطة بالفعل بما حدث، وكذلك أبي، فما الذي قد أخشاه بعد هذا؟! أظن أن المحامي قد أوضح لأبي بأني قد أصبحت مشتبهًا به بالفعل في

عيون الشرطة، فقد طُلب مني عدم مغادرة البلاد، لا أعرف من أين عرفتني! أنا لم أسمع بها أو أرها من قبل الجريمة، لماذا أخترتني وكيف حصلت على الصور؟ مما فهمته من التحقيقات أن تلك الفتاة كانت بارعة في اختراق الهواتف والحواسيب.

رفع مالك حاجبيه وقال في دهشة:

- يا إلهي! كل هذا من فعل تلك الفتاة الحقيرة التي لم يُسمع عنها قط.

كان الكيل قد طفح برماح، فقد انتظر حتى ينتهي آسر من حديثه حتى لا يثير غضبه فيحجم عن قول ما عنده:

- اسمعا أنتما الاثنان، رفيدة قد ماتت، ولا يصح أن تنعتاها بتلك الصفات حتى وإن ارتكبت أفعالًا بشعة وحمقاء في حياتها؟، احترما موتها.

كان قد هيأ نفسه للكمة من آسر، ولكن الأخير ابتسم في بلاهة وقال:

- هذا صحيح، لقد ماتت وأراحتنا.

نظر إليه رماح بيأس، فمن غير المحتمل أن يفهم آسر الذي يدخن الحشيش ولا يجد في الأمر غضاضة ما يطالبه به؛ لذا سأله رماح قبل أن يستفيض في حديثه عن رُفيدة ثانية:

- هل تعلم أحدًا أخر تعرض للابتزاز من قبل رُفيدة؟

- لا، هل من الممكن أن تكون قد ابتزت آخرين؟

تذكر رماح وصف ليلى للأشياء الباهظة التي رأتها في غرفة رُفيدة

ثم أردف:

- من المحتمل جدًا، ولكن أظن أننا لن نعرف أبدًا.

تدخل مازن قائلًا:

- لن يصرح عاقل أنه قد تعرض للابتزاز، عادة ما يكون أمرًا مشينًا ليتم ابتزازك به؛ لذلك لن يفتخر أحد ويعثر في أمر كهذا، كما أن الشرطة ستحتفظ بالأمر طي الكتمان لخصوصية التحقيق.

لم يدرك مازن فداحة ما قال إلا عندما رأى وجه آسر محمرًا، فاستطرد قائلًا:

- الأمر مختلف مع آسر بالطبع؛ لأن أباه قد عرف بالفعل.

برر مازن وهو غير مقتنع وفكر في نفسه: "أن هذا لا يُبرر بأن يعرف كل من في المدرسة أنه كان يدخن حشيشًا ولا يبالي، ولكن بدا أن لآسر أولوياته الغريبة". تبادل الأربعة بعض الأحاديث الأخرى ثم مضى كلًا منهم إلى طريقه. قال رماح لمازن وهما يعودان إلى الفصل:

- كما قلت من قبل، هذه القضية تحمل في طياتها الكثير من التعقيدات، وتبدو في ظاهرها مختلفة تمامًا عن حقيقتها. رُفيدة والتي اعتقدنا في البداية أنها فتاة ضعيفة تحت وطأة وسيطرة مايا، الآن مايا ووالدتها تحاولان أن تقنعنا بعكس ذلك، وأن مايا هي التي كانت ضحيتها.. هل كانت مايا تعلم بأمر الابتزاز؟ هل قامت رفيدة بابتزاز مايا وتهديدها بأمر ما فاضطرت إلى التخلص منها؟ أم أنها كانت شريكة معها في الأمر واختلفتا بشأن الأموال، أو لأي سبب

آخر خاص بالابتزاز؟ ولكن لماذا تخبرنا عن آسر وتطلب منا الحديث معه؟ ربما لأنها تعلم أنها مسألة ساعات معدودات حتى تتحدث المدرسة كلها عن الأمر فأرادت بذلك أن تبعد عنها الشكوك؟ ماذا عن الابتزاز؟ كانت زفيدة من خلال قصة آسر تعتمد على خبايا الطلاب التي يفعلونها من وراء أهاليهم وإن كانت بالنسبة لهؤلاء الطلاب مسائل حياة أو موت، ولكنها في الأغلب زلات مراهقين لا خطر فيها، لكن ماذا إن وقعت زفيدة على شيء خطير يهدد صاحبه بالفعل؟ ألن يجعلها هذا في خطر شديد وقد يكون سبب مقتلها؟ الأمور صارت أكثر تعقيدًا الآن يا مازن.

9

مضى ما تبقى من اليوم الدراسي بطيئًا، ولم ينجح أيًا منهما في التركيز فيما يُشرح داخل الفصل. كان الاثنان متشوقين ليقصا على ليلى كل ما سمعاه من آسر، ويتناقشون في كل الاحتمالات الجديدة، ولكنهما لم يجدا ليلى تنتظرهما عند بوابات المدرسة كما اعتادا كل يوم منذ الحادثة، وعرف مازن من صديقتها عليا أنها شعرت بالتوعك واستأذنت من إحدى المعلمات لتذهب إلى البيت. سأله رماح عندما عاد من حديثه مع عليا:

- أين ليلى؟

- لقد شعرت بالتعب، فاستأذنت للعودة إلى المنزل.

- اسمع، يجب أن نتحدث مع سليم ومايا ثانية لنرى ما يعرفونه بخصوص هذا الأمر.

- ما الذي تفكر فيه؟

- ربما يعرفان شيئًا عن الأمر، يجب أن نتحدث معهم.

- ماذا عن ثريا؟ يمكن أن تكون قد لاحظت شيئًا ما على ابنتها.

- تبدو لي ثريا من نوعية الأمهات التي لا تلاحظ شيئًا البتة وكأنها كانت لا ترى ابنتها، ورغم ذلك لن يضر التحدث إليها أيضًا.

- مع من سنبدأ؟

- من الأفضل أن نوزع المهام، لقد صار كلّ منا يعرف الثلاثة على نحو جيد.

- سأتحدث أنا مع سليم هذا.. يترك لك ولليلى مايا وثريا.

- سأدع ليلى تختار من تشاء، ليس عندي مانع من التحدث إلى أيهما.. هل انتهت ليلى من قراءة رسائل زفيدة؟

- تقول أنها اطلعت على أغلبها بسرعة، ولكنها تشتكي أن الرسائل كثيرة وطويلة جدًا والخط فيها لا يكاد يُقرأ ومعظمها كلام تافه.

عندما عاد مازن إلى البيت، وجد ليلى في غرفتها في محاولة يائسة لاستذكار ما تراكم عليها من دروس وفروض. وقف مستندًا على مقبض الباب:

- سمعت أنكِ متعبة، ولكن يبدو لي أنكِ بخير.

- ليس تمامًا، ولكني أردت أن أستغل الفرصة في محاولة إنهاء ما تراكم عليّ من الدروس، وأنصحك أن تقوم بذلك أيضًا.

دخل مازن الغرفة وأغلق الباب خلفه ثم سألها:

- ما بكِ؟

- لا أعرف يا مازن، هذه الجريمة وما نقوم به يصيبني بالخوف والقلق، لم أستطع النوم أمس من الكوابيس.. كلما أغمضت عيناي أراها تسبح في دمائها على أرض الحمام اللعين وكأنها تلومني على أني لم أجد قاتلها حتى الآن.

كان مازن قد توقع هذا، ولكنه لم يظن أن الأمر بمثل هذا السوء.

- إذًا من الأفضل أن تبتعدي عن الأمر قليلًا ولا تفكري فيه.

- لقد قطعنا شوطًا طويلًا، لا أستطيع بسهولة أن أتخلى عن الأمر.. لا تقلق، يمكنني المقاومة.

ابتسمت له. فكر مازن في نفسه أنه من الأفضل لأخته التخلي عن التحقيق في هذه الجريمة، ولكنها لن تعترف بذلك. أراد ألا يحدثها عما اكتشفوه، ولكنه أدرك أنها ستعرف بمجرد ذهابها إلى المدرسة غدًا وستغضب لإخفائه الأمر عنها، وقد تزداد إصرارًا لملاحقة هذا التحقيق بشكل قد يكون متهورًا؛ لذلك قال في استسلام:

- لا أعرف إن كنت سمعتِ عن آسر وما يقوله؟

- لا، من آسر هذا؟

- إنه ولد في الصف الحادي عشر، يدعي أن زفيدة قامت بابتزازه ببعض الصور لتحصل منه على المال.. هل تصدقين؟ الأمر الذي يجعل دائرة الاشتباه تتسع بشكل لا يُصدق.

- ولماذا يتحدث الآن؟

- هو لم يعرف هوية من ابتزه، ولكن بعد أن طلبته الشرطة للتحقيق وسألته عن سبب دفع أموال لزفيدة أدرك الصلة واعترف بكل شيء.. يرى رماح أنه لا بد أن نتحدث مع مايا وسليم وثريا لعلهم يعرفون شيئًا عن الأمر.

- يا إلهي! هذه القضية تزداد تعقيدًا يومًا بعد يوم، هل تظن أنهم قد يفصحون عن الأمر؟ سأتولى أنا أمر ثريا، ولا تنسَ أنه ما زال هناك احتمال قائم بأن يكون الأمر بعيد كل البعد عن قصص الابتزاز، لعلها مجرد مصادفة.

- مصادفة أن تقتل طالبة كانت تهوى ابتزاز الناس! اسمعي، لماذا لا تتركين التحدث مع ثريا لي ولرماح؟

كان مازن قد غير رأيه بعد ما رأى كيف تؤثر هذه الجريمة على أخته المسكينة. هزت ليلى رأسها بقوة معترضة وقالت:

- قلت لك يا مازن سأكون بخير بإذن الله.

- وهناك أيضًا ما قالته لنا مايا اليوم بشأن صاحب زفيدة.

- آه.. كنت أفكر أنه يمكنني التقصي عن الأمر، رغم أن الصعوبة تكمن في عدم وجود أصدقاء لها، ولكن يمكن أن تكون إحدى البنات قد لاحظت شيئًا.. الفتيات تلاحظ هذه الاشياء دائمًا.

- بالفعل، لا تفوتكم هذه الأشياء إذا على سبيل التغيير، هل تودين أن نشاهد شيئا مّا؟ ربما فيلم عن جريمة قتل ونطلب البيتزا؟

ابتسم مازن لها:

- سأنتهي من هذا الدرس وألحق بك، اطلب البيتزا.

عندما قابل مازن رماح في اليوم التالي، أخبره بقلق عن ليلى وبما تشعر به. قال رماح في قلق:

- كان الله في عونها، كيف لها أن تنسى وتتخطى ما رأته؟! عليك أن تتحدث معها ألا تشغل نفسها بهذا التحقيق والسعي وراء القاتل وإن توكل الأمر لنا.

- حاولت، ولكنها مصممة.. بمجرد أن قلت أننا يجب أن نتحدث مع ثريا ثانية أخبرتني أنها من ستتولى ذلك.

- هل تتحدثان عني؟

فزع كلٌ من رماح ومازن عندما سمعا صوت ليلى خلفهما، التفتا إليها وسألها مازن في غضب:

- منذ متى وأنتِ هنا؟

- أخبرتك ألا تقلق بشأني أخي العزيز! لقد اتصلت بثريا وسوف أذهب اليوم للحديث معها.. بالطبع كانت متحفظة في كلامها معي بعد ما حدث أخر مره، اعتذرت إليها عما حدث وأخبرتها بأنني سوف آتي بمفردي.

سألها رماح في قلق:

- هل أنتِ متأكدة يا ليلى؟ لا يجب عليكِ تحميل نفسكِ ما لا تطيق.

- نعم متأكدة، متى ستتحدثان مع سليم ومايا؟

أجاب رماح:

- اليوم، سوف أذهب الآن للحديث مع سليم.. سمعته يقول الحصة الماضية لأحد التلاميذ أنه ليس لديه حصص حتى منتصف اليوم الدراسي. هل حالفك الحظ فيما يخص صديق زفيدة؟

- لا للأسف، لماذا لا يذهب مازن معك؟

- الأفضل أن نتحدث على انفراد، لا أريد أن يحدث معه كما حدث مع ثريا.. لقد صاروا جميعًا أكثر حساسية عندما نكون مجتمعين.. يشعرون وكأننا نحيك لهم التهمة. عامل نفسي أظن.

اتجه رماح إلى حيث مكتب سليم. كان معه التلميذ الذي سمعه

يحدثه في وقت سابق، عندما طرق على الباب المفتوح على مصراعيه، رفع إليه سليم نظره وبدا على وجهه عدم الارتياح لمرآه.

- بضع دقائق وسأنتهي من الحديث مع باهي.

انتظر رماح خارج المكتب حتى رأي الولد يغادر. كان سليم يرتب أوراق فوق مكتبه عندما دخل. قال دون أن يرفع نظره عما يفعله:

- أهلًا رماح، ما الذي جاء بك؟

- كنت أود الحديث معك بخصوص زفيدة.

رفع إليه عينيه في ملل ثم قال ببرود:

- لماذا أنت مهتم بأمر تلك الفتاة؟

- لأنها قُتلت.

- لا أرى ذلك سببًا خاصًا، ما الذي تريد التحدث بشأنه؟ لقد أخبرتكم كل شيء أعرفه.

- أكيد وصلك ما يقوله آسر.

- آه بالفعل وصلني، المدرسة كلها تتحدث عن هذا.. هل يعقل أن تكون زفيدة متورطة في أمر كهذا؟ أكاد لا أصدق.

- ألم تحدثك عن الأمر من قبل؟

- لا، لا أتذكر شيئًا مثل هذا.. هذا شيء لا يمكن نسيانه أو إغفاله، لو أنها أخبرتني بشيء كهذا لتدخلت لوقف الأمر وتقليل الضرر، هل تأكدت الشرطة من الأمر؟ من الممكن أن يكون الأمر مجرد ادعاء من

آسر للتغطية على شيء آخر.. لم لا يكون آسر صديقها الذي ذكرته لي من قبل؟

- لا أرى سببًا يجعله يخترع قصة كهذه للتغطية على كونه مرتبط بها بأي شكل.

- لو كانت زفيدة قد فعلت هذا حقًا، لا بد أن تجد الشرطة ضحايا آخرين لابتزازها.

- هل تظن أن زفيدة قادرة على فعل أمر كهذا؟

- حقًا لا أعرف، كانت زفيدة مليئة بالغضب تجاه أشياء كثيرة

- هل أخبرتك يومًا أي شيء بخصوص والدها؟

- تقريبًا قالت لي يومًا أنها لم تعرفه قط، وأنه قد تركها منذ أن كانت صغيرة وقد كانت غاضبة من هذا، لكني لا أتذكر ما قالته بالضبط.. اعذرني في الحقيقة أستمع أحيانا لهؤلاء الطلاب بأذن واحدة وتتداخل قصصهم، فلا أتذكر إلا نتفًا منها للأسف، لو كنت أعلم...

لم يكمل جملته وكأنه قد أثقل بها ثم أردف:

- هل تريد أن تسألني عن شيء آخر؟ لدي اجتماع مع الأستاذة محبات ولا يجب أن أتأخر عليها.

غادر رماح مكتب سليم واتجه إلى درس الرياضيات والذي كاد أن ينتهي، فرفض بروفيسور خالد أن يلتحق بالفصل، وأغلق الباب في وجهه بعد أن وبخه على تأخره. لما انتهت الحصة، دخل رماح والتحق به مازن الذي كان قد أنهى درس الاقتصاد الذي يحضره

في فصل آخر. قص رماح عليه ما سمعه من سليم. قال مازن وهو يتثاءب:

- لم يقل شيئًا جديدًا.

- بالفعل، وهذا يشعرني بالإحباط.. متى ستذهب للحديث مع مايا؟

- وقت الراحة الثاني، لماذا لا تأتي معي؟

- ستكون مايا أكثر انفتاحًا مع مازن نجم المدرسة مفتول العضلات.

- لا أظن.

- أنت لا ترى كيف ترمقها صديقاتها عندما تقف للتحدث معها، أنت لا تعرف سحرك يا عزيزي. يا لا سخف الفتيات!

عندما دق الجرس معلنًا انتهاء الحصص، وبدأ وقت الراحة، انطلق مازن سريعًا ليغادر قائلًا:

- سأذهب سريعًا حتى ألحق بها قبل أن تغادر فصلها، فاضطرت للبحث عنها في كل المدرسة.

عندما وصل مازن إلى فصل مايا، كانت تتحرك مع مجموعة من صديقاتها متوجهين إلى فناء المدرسة ناداها:

- مايا.. هل يمكنني التحدث معك؟

ضحكت مجموعة الفتيات حولها، وفكر مازن أن كلام صاحبه يبدو حقيقيًا. ابتعدت مايا عن صديقاتها حتى صارت على مقربة منه.

- أهلًا مازن، أين ليلى و...

لم تتذكر الاسم فقالت:

- والآخر.

ضحك مازن مزهوًا بنفسه وحمد الله أن رماح لم يأتِ.

- تقصدين رماح؟ لا أعرف أين هما حقيقة، لا بد أنك علمت الآن بما يقوله آسر.

- آه.. يبدو أن الأمر حقيقيًا وليس مجرد ادعاء، يقولون أن الشرطة استجوبته بالفعل.

- ألم تحدثك رفيدة يومًا عن أمر كهذا؟

- لا، يبدو أنها قد بدأت هذه الأمور بعد أن انقطعت صداقتنا، لم أكن لأشترك في أمور كهذه إن كان هذا ما تقصده، ولكني أتذكر.

ثم صمتت وكأنها تراجعت. سألها حاثًا لها على المضي قدمًا:

- ماذا؟

- كانت رفيدة بارعة في أمور الحاسوب، كانت عبقرية في هذا بغض النظر عن درجاتها السيئة، فهي كانت تكره الدراسة.. يومًا ما تشاجرت مع فتاة وقد سبتها الفتاة وأهانتها بشكل فظيع، بعد بضعة أيام من الحادثة أرتني على هاتفها صور للفتاة وهي تلبس ثوب سباحة من قطعتين، كانت صور عادية للفتاة وهي تضحك على الشاطئ، أخبرتني أنها تفكر في إرسالها على مجموعات المدرسة على مواقع التواصل نكاية في الفتاة.. لا فتاة تحب أن يتم تداول صورها بين التلاميذ بهذا الشكل أبدًا، ولكني حذرتها أن الأمر لن يمر

مرور الكرام، ولن يسكت أهل الفتاة، وسيبحثون عن الذي أرسل هذه الصور، قلت لها حتى لو كنتِ عبقرية وتستطيعين تصعيب الأمور عليهم سيجدون من هو أكثر منكِ ذكاءً وسيفتضح أمرك في النهاية وقد تتعرضين للفصل، حاولت تخويفها بشتى الطرق حتى نجحت في إقناعها أخيرًا، ولكني ظننت أنها حادثة عابرة ولم أتذكرها إلا الآن.

- سامحيني يا مايا، ولكن ألم تحاول رفيدة ابتزازك خاصة بعد ما حدث بينكما من قطيعة؟

احمر وجه مايا قليلًا ثم أجابت:

- ربما أرادت ذلك وتمنته بشدة، ولكنها كانت تعلم جيدًا أنه ليس لدي ما أخفيه؛ لذلك أظنها لم تحاول، كما أني غيرت رقم هاتفي بعد ما حدث بيننا من خصومة ولم أعطه لفترة طويلة إلا للمقربين بشدة مني، أظنها بهذه الأفعال كانت تحاول ملء الفراغ الذي تركته، لقد تحطمت رُفيدة تمامًا بسبب انتهاء صداقتنا وصارت أسوأ.. لطالما شعرت بالحقد والغضب تجاه الأخرين وحتى تجاه نفسها، ولكن يبدو أن ما حدث بيننا فجر الأمور داخلها بشكل كبير.. لم يكن أمامي خيار آخر سوى أن أنجو بنفسي.. الآن بعد كل شيء حدث، ضميري يؤنبني بشدة وأتساءل بيني وبين نفسي إن كان يمكنني فعل شيئًا ما لإنقاذها من مصيرها.

- لم يكن بيدك شيء لتفعليه صدقيني، لا يمكنك إنقاذ الآخرين إن لم تنقذي نفسك أولًا.

- هذا ما يخبرني به طبيبي النفسي دومًا، سوف أذهب الآن.. أحتاج

أن آكل قبل أن ينتهي وقت الراحة، لقد أصبح معظم المدرسين يتشددون فيما يخص تناول الطعام في وقت الحصص.

عندما قص على رماح ما قالته مايا في نهاية اليوم الدراسي، شرد رماح قليلًا ثم قال:

- لعلها قامت بابتزازها وهددتها، أو لعلها كانت شريكة معها في هذا الأمر وحدث بينهما خلاف لأي سبب، ربما كانت المشاجرة المشهورة بينهما بسبب هذا ومايا تضللنا بشأنها.. لا يمكن التأكد متى بدأت رفيدة في ابتزاز الآخرين.

- وربما حدث الأمر نفسه مع سليم، لعلها هددته بشيء ما أو لعله كان شريكًا معها.

- نعم، ولعله كان أحدَ غيرهم من ضحاياها لم نعرفه حتى الآن، لقد اتسعت دائرة الشبهات بشكل كبير.

- وما زال هناك احتمال أن يكون الأمر بعيد كل البعد عن الابتزاز كما ترى ليلى، والتي بالمناسبة لا أراها.. لا يجب أن نغفل أمر صاحبها الذي لم ننجح في أن نعرف عنه شيئًا حتى الآن، سوف أذهب للبحث عنها.

عندما التفت ليتأكد أن رماح قد سمعه، لم يجده هو الآخر حوله في أي مكان. ظل يبحث عن ليلى دون فائدة حتى رأى صديقتها عليا، وأخبرته أن ليلى شعرت بالتعب في منتصف اليوم، واستأذنت ثانية للذهاب إلى البيت، شعر بالقلق الشديد تجاه أخته؛ هذه القضية ترهقها نفسيًا وتضغط على أعصابها مهما ادعت غير هذا، بينما هو

مستغرقًا في أفكاره بشأن ليلى، أفاق على صوت رماح الذي ظهر فجأة:

- هل سمعت آخر الأخبار؟

- ماذا تعني؟ أية أخبار؟ هل تحدثت مع آسر ثانية؟

- لا، ليس آسر. أخبرني عم حسني أنهم وجدوا الهاتف المفقود.. هاتف زفيدة!

- ماذا؟ حقًا؟!

- نعم، وجده فني الصيانة (السباك) وهو يصلح مرحاضًا، تعطل صندوق الطرد الخاص به ليجد بداخله هاتفًا مهشمًا. في البداية لم يلقِ بالًا، وظن أنه إحدى مقالب التلاميذ السخيفة التي يفعلونها في بعضهم، إلا أنه تذكر جريمة القتل، فقام بتسليمه للناظرة التي سلمته للشرطة، وأغلب الظن أنه بالفعل هاتف زفيدة.

- كيف غفلت الشرطة عنه؟ لا بد أنهم قد فتشوا الحمام مرارًا وتكرارًا.

- ذلك لأنهم وجدوه في حمام آخر، أخبرني عم حسني بذلك، وتخيل ماذا؟ أنه حمام خاص بالفتيات

- مايا ثانية؟!

- مضى عليه عدة أسابيع في صندوق الطرد، قد لا يستطيعون بسهوله الحصول على معلومات منه.

كان عقله يعمل سريعًا بعيدًا عن مازن، وأراد أن يكون بمفرده حتى

يرتب أفكاره. قال مازن في قلق:

- ليلى شعرت بالتعب ثانية، واستأذنت للذهاب إلى المنزل.. لا أعرف يا رماح، أشعر بالذنب لأني سايرتها في أمر التحقيق هذا.

- للأسف، تعثرها في هذه الجثة أمر خارج عن يديك، لا تقلق ستكون بخير بإذن الله.. اسمع سوف أذهب إلى المنزل، اتصل بي إن حدث شيئًا جديدًا.

ترك مازن ومشى سريعًا كأنه يريد أن يلحق بموعد قد تأخر عنه حتى.

10

ظل مازن مستغرقًا في قلقه بشأن ليلى بعد أن تركه رماح حتى رن هاتفه، ظهر اسم والدته على الشاشة. لم يكن من عادة أمه أن تتصل به فور خروجه من المدرسة. ما إن فتح الخط حتى سمع صراخ أمه على الجهة الأخرى:

- مازن! تعالَ فورًا، لا أصدق.. يا ربي كيف حدث هذا؟!

كانت أمه منهارة، وبالكاد فهم منها أي شيء.

- اهدئي يا أمي حتى يمكنني أن أفهم منكِ.

بعد دقائق قليلة، رن هاتف رماح وظهر اسم مازن. توجس خيفة فهو قد تركه منذ دقائق فقط. أجابه سريعًا وقلبه يكاد ينخلع:

- مازن.. ما الأمر؟

- إنها ليلى، لقد تم استدعاؤها للتحقيق معها.

- اطمئن، لا بد أنه أمر روتيني.

رغم ما قاله كان قلبه يخبره عكس هذا.

- لا يا رماح، لقد جاءت دورية شرطة واصطحبتها، الأمر ليس مجرد تحقيق.. أمي في حالة انهيار وصدمة.

- سوف آتي إليك حالًا.. هل تعرف إلى أين أخذوها؟

- نعم، أمي أخبرتني أنها اتصلت بالمحامي وسوف يذهبوا إليها مع أبي.

- لا تتحرك، لم أبتعد كثيرًا سأكون عندك حالًا.

ما كان يخشاه طول الوقت قد حدث.

استقلا سيارة الأجرة، لم يوجه أيًا منهما كلمة إلى الأخر، عجزا عن طمأنة بعضهما بكلام أجوف. كان مازن مصدومًا ومرعوبًا، أما رماح فكان يؤنب نفسه لغبائه.

عندما دخلا قسم الشرطة، بحثا عنهم لأن شبكة الهاتف كانت لا تعمل جيدًا داخل القسم. وجد مازن أمه وهي تستند بظهرها إلى الحائط وهي تبكي وعيناها محمرتان. عندما لمحته ارتمت في حضنه وهي تبكي وتنشج وتقول وهو بالكاد يسمعها بين شهقاتها:

- لا أصدق يا مازن، لا يمكن، إنهم يقولون.. إنهم قد وجدوا بصماتها على شيء ما، ربما هاتف أو سكين.

انهارت أمه عندما نطقت سكينًا.

- اهدئي يا أمي، اهدئي.. لا بد أنه سوء تفاهم.

كان رماح يقف بعيدًا وقلبه يحترق، وعقله يعمل بلا هوادة. عندما هدأت والدة مازن قليلًا، ذهب مع مازن إلى والده، والذي كان يقف مع المحامي. سمعا المحامي يقول:

- الموقف خطير يا علوان بيه، بصماتها على هاتف القتيلة، والتي كانت لا تتركه أبدًا.

تدخل مازن سائلًا:

- كيف وصلت بصماتها للهاتف؟

- تقول ليلى أنها عندما وجدت الجثة كان الهاتف ملقى بجوارها، وقبل أن تفكر أخذت الهاتف وألقت به في أول حمام قابلته في طريقها وهي ذاهبة إلى مكتب الناظرة.

- نعم، لذلك لم تصرخ وقتها.. هل تتذكر يا مازن عندما تحدثنا مع ليلى في المكتب! قالت أنها لم تصرخ لما رأت الجثة، وبررت الأمر، وقد وجدت هذا غريبًا وقتها، يومها قررت أن أحل هذه القضية لأني أيقنت أن ليلى كانت تخفي أمرًا ما.

كان رماح يحدث مازن وكأنه نسي وجود الآخرين. سأله مازن في صدمة وقد اتسعت عيناه:

- تعني أنك كنت تعرف كل هذا الوقت؟

- وقتها أثار الأمر اهتمامي، وخفت أن تكون ليلى متورطة في الأمر.

هنا صاح والد مازن:

- من هذا يا مازن؟ هل تقول أن ابنتي قتلت تلك الفتاة؟ ما هذا الهراء؟

- إنه صديقي رماح يا أبي، وهو لا يقصد هذا بالطبع، إنه يحاول أن يساعدنا لتبرئة ليلى.. أليس كذلك؟

- بالطبع.

أحس رماح كأن خنجرًا قد غرز في قلبه. سأل رماح المحامي:

- هل من الممكن أن نرى ليلى؟ هناك أشياء يجب أن نعرفها منها؟

- بالفعل، لقد استأذنت وكيل النيابة أن نراها وقد سمح لنا، ولكن...

قاطعه رماح موجهًا حديثه لوالد ليلى:

- أرجو منك أن تسمح لي أن أرى ليلى وأتحدث معها، لقد كونت فكرة عن هذه القضية، وقد اقتربت من حلها بإذن الله.. أتوسل إليك، أخبره يا مازن.

نظر جمال إلى مازن في ريبة، ثم تنحى بولده جانبًا وتحدثا معًا قليلًا، ثم عاد ليقول:

- سمح لنا أبي بالدخول، ولكن لخمس دقائق فقط حتى يستطيع هو والمحامي الحديث معها بعدنا.

عندما دخلا غرفة التحقيق، كانت ليلى تجلس أمام مكتب وكيل النيابة، كانت تبدو شاحبة وهادئة. لم تكن تبكي، وظن رماح أنها لو كانت تبكي لكان أرحم لقلبه. عندما رأتهما ابتسمت ابتسامة واهنة ثم قالت:

- أنا آسفة، آسفة أني لم أثق بك يا مازن، ولم أخبرك بالأمر منذ البداية.

ابتسم لها مازن مطمئنًا إياها ثم قال لها:

- ليس هذا وقته يا حبيبتي، كل ما يهمنا الآن أن تحكي لنا كل شيء بالتفصيل حتى نخرجكِ من هذا المأزق.

- إذًا أنت تصدق أني لم أقتلها.

- بالطبع، ليس هناك داعٍ لأن تقوليها، أنتِ لا يمكنكِ أن تؤذي ذبابة، ورماح أيضًا يظن ذلك.

- هل هذا صحيح يا رماح؟

كان رماح ساكتًا يتمنى ألا تلحظ ليلى وجوده، لم يجبه، ولكنه سألها:

- ما الذي حدث يا ليلى؟ احكي لنا كل التفاصيل مهما كانت صغيرة.

- لقد بدأ الأمر عندما جاءتني رسائل من رقم غريب، كانت عبارة عن صور لمحادثات بيني وبين إحدى الصديقات، كنا نتحدث فيها عن فتاة مشهورة معنا في المدرسة تظن نفسها ملكة الكون ونسبها ونشتمها لأنها حقيرة.. كانت الفتاة تسخر مني ومن حجابي، فأسرفت أنا وصديقتي في سبها خلال محادثتنا على الواتس اب.

ضحكت ليلى وكأنها نسيت الورطة التي هي فيها ثم أردفت:

- في بادئ الأمر، شعرت بالغضب الشديد، ثم أدركت أن الأمر سخيفًا، إلا أنني لا أفضل بالطبع أن ترسل هذه المحادثات لكل من في المدرسة كما يدعي المرسِل، أثار الأمر فضولي.

- هل طلبت منكِ مالًا؟

- لا، المرسل طلب طلبًا غريبًا، جعلني أزداد فضولًا لأن أجاريه، لقد طلبت مني أن نصبح أصدقاء، هل تصدق؟ فجأة شعرت بالتعاطف الشديد تجاه هذه الشخصية التي وصل بها الحال أن تهدد شخصًا ما لتجد صديقًا، فكرت وقتها ما مدى تعاسة ووحدة شخص كهذا؟ لذلك فقد قررت أن أجاريها.

- يا إلهي! بدلًا من أن ترفضي الانصياع لهذا الابتزاز وافقتِ.

ابتسمت في وهن وقالت على استحياء:

- مرة أخرى، لم أستطع مقاومه فضولي، لم أوافق على طلبها، ولكني لم أرفض، قلت لها فلنتقابل ونتحدث، وبالفعل قابلتها يوم الحادثة للأسف، منذ أن رأيتها وعرفت أنها فتاة بائسة وبها شيء غير طبيعي بالمرة، كانت تتظاهر بالقوة تارة في حديثها، وتارة أخرى تبرر لي تصرفها بحياتها البائسة وتستجدي مني العطف والصداقة.. في نهاية حديثنا أحست أنها ندمت على أنها كشفت لي هويتها.. اختراق هواتف الغير لسرقة خصوصياتهم، أظن أنها خافت من أن أفضح أمرها، ولكني عزمت على مساعدتها رغم كل شيء، قد لا نصبح أصدقاء، ولكن هذا لا يعني...

قاطعها رماح:

- ليلى! أرجوكِ أكملي، فالوقت ضيق وسينهون هذا الحديث خلال دقائق.. هل رآكما أحد وأنتما تتكلمان؟

- بالطبع لا، حرصت زفيدة على أن يكون المكان خالي من التلاميذ، فهذا يدينها على كل حال، ويجب أن تحتاط، ثم رحل كلّا منا في طريقه، ولكني في منتصف اليوم لاحظتها تدخل خلسة إلى هذا الحمام المعطل، ومرة ثانية...

- أثير فضولك للمرة العاشرة على التوالي؟!

بدا مازن غاضبًا وإن حاول كتمان الأمر، فاكتسى وجه ليلى بحمرة الخجل وقالت:

- نعم، ولكني منعت نفسي هذه المرة أن أدخل وراءها، فسيكون الأمر غريبًا أن تظن الفتاة أني أتتبعها، ولكني عندما عدث بعد حوالي

ساعة أو أطول قليلًا، تساءلت في نفسي: "لماذا تدخل هذه الفتاة هذا الحمام المعطل؟" وأردتُ أن أستطلع المكان، فدخلت ووجدتها مقتولة، أقسم لكم لم أفعل لها أي شيء، ورأيت الهاتف بجانبها، ففكرت أنه عليه الرسائل بيننا وأنهم سيشتبهون بي.. فقد أكون آخر من قابلته ورآها حية، وكانت تهددني؛ لذلك كتمت صرخاتي وهشمت هاتفها، ولكن ظننت أن الأمر لا يكفي ويجب عليّ إخفائه فأخذته وألقيت به في أقرب حمام صادفني وأنا في طريقي إلى مكتب محبات، أقسم لكما هذا ما حدث بالضبط.

فاضت من عينيها الدموع فجأة وكأنها أدركت هول ما هي فيه. قال لها مازن وهو يحتضنها:

- ليلى تماسكي، سنخرجكِ من هذه القضية سالمة، كما أن النيابة لم توجه لكِ التهمه بعد.

- إنها مسألة وقت يا مازن ليس أكثر.

قال رماح ذلك بشيء من الواقعية الفجة القاسية. ارتاعت ليلى وسألت في فزع، وعيناها السوداوان تتسعان في دهشة:

- ماذا تقول؟! هل يمكن أن يحتجزوني هنا؟ لا، لا يمكن، مازن..

حاول رماح تهوين ما قاله:

- دعونا لا نفكر الآن سوى أن نعيدكِ إلى البيت أولًا هذه الليلة.

ضمها مازن إليه وهو يقول لها:

- لا، لا تخافي، لن يحدث هذا بإذن الله.. في أسوأ الأحوال

ستخرجين بكفالة كما قال المحامي لأبي.

عندما خرج الاثنان، صاح مازن في رماح:

- لماذا قلت هذا؟ لقد أرعبتها أيها الغبي.

- يجب أن تتحضر للأسوأ يا مازن حتى لا تنهار.

- يا إلهي! لا أصدق أنه يمكن أن تبيت ليلى هنا.

استمعت النيابة لأقوال ليلى، كما توقعوا انتهى اليوم بتوجيه التهمة لها، ولكنها خرجت بكفالة بالفعل على ذمة التحقيق. تركهم رماح وهم يركبون سيارتهم، وشاهدها وهي تحملهم وترحل وقلبه مليء بالحسرة إذ لا يمكنه مواساة أحب الناس إليه في محنتها.

في اليوم التالي، جلس رماح في الفصل وحيدًا، لم يأتِ مازن كما توقع، فقد انتشر الخبر في المدرسة كلها. وكما هو الطبيعي في حالات كهذه أصدر الناس حكمهم أن ليلى هي القاتلة لا أن الأمر تحت التحقيق. تفاجأ رماح عندما دخل مازن في منتصف اليوم.

- ما الذي جاء بك؟

- جو البيت لا يُطاق، ليلى وأمي تبكيان بلا توقف، وأبي لا يكاد يتوقف عن الصياح على الهاتف أو فينا.. لو جلست دقيقة أخرى لارتكبت جريمة، ماذا سنفعل؟

- كنت أفكر للتو، لماذا ترك القاتل هاتف رفيدة وراءه؟ بفرض أنه كان واحدٌ ممن ابتزتهم رفيدة من قبل، وقرر الانتقام وخطط له، أليس من الطبيعي أن يفعل كما فعلت ليلى ويأخذ الهاتف ليخفيه؟ إلا إذا

كان يعلم أن هذا الهاتف لا يحمل ضده شيئًا أو يكون لديه الوقت ليتأكد من ذلك بعد قتلها، فيفتح الهاتف ببصمة إصبعها أو وجهها كأغلب الهواتف الآن؟ أيًا كان، فقد ترك الهاتف خلفه ولم يبالِ، ماذا يعني هذا؟

رد عليه مازن ببلاهة لأنه بالكاد كان يلاحقه في الحديث:

- حقًا لا أعلم.

- إما أن القاتل ليس له علاقة بالابتزاز، أو أنه له علاقة بالأمر، ولكنه يعلم أن لزفيدة هاتف آخر، بل بالتفكير المنطقي لا بد أن يكون لزفيدة هاتف أخر مخصص لعمليات الابتزاز، وهذا طبيعي جدًا ألا تستخدم رقمها في هذه العمليات.

- ربما هذا صحيح، هذه نقطة مهمة جدًا يا رماح، ولكن أين هذا الهاتف؟

- لا أظن أنها ستصحبه معها إلى المدرسة، كانت الشرطة لتجده في نهاية الأمر خاصة أنهم فتشوا الدولاب الخاص بها وتحفظوا على أشيائها، لا بد أنها تخفيه في مكان أمين في منزلها، أو بالأخص في غرفتها، لا بد أن نعود ثانية إلى ثريا.

- لا بد أن الشرطة قد مشطت غرفتها جيدًا.

- نعم، ولكنهم قد يغفلون وجود هاتف قديم، مهمل ومغلق في أحد الأدراج، كما أغفلوا أمر الحافظة من قبل.

- يجب أن نعود إلى هناك، ماذا لو رفضت ثريا مساعدتنا؟

- سنهددها بفضح أمرها، سأفعل أي شيء لأخرج ليلى من هذا الأمر سالمة.

كانا يتحدثان وهما يخرجان من مبنى المدرسة إلى الساحة الواسعة، والتي كان يقام فيها اليوم الرياضي في المدرسة، وقد بدأت فقراته للتو. كانت الموسيقى تصدح في مكبرات الصوت مما جعلهم يقتربون جدًا من بعضهم وكأنهم يدبرون لجريمة قتل أخرى، مما جعل التلاميذ المتوجسون من حولهم والذين عرفوا قصة ليلى بالطبع يتهامسون وينظرون إليهما خلسة، لكن أيًا منهم لم يهتم بهرائهم. كل ما يشغل بالهما هو ليلى وسلامتها. رن هاتف رماح عندما رأى الاسم، رد على الفور جاءه صوته بدون سلامات كما اعتاد منه:

- رماح، لقد عرفت اسم صاحب المصنع الذي طلبته مني.

كانت مكبرات الصوت تجعل من الصعب سماعه.

- ارفع صوتك يا عمو صادق، بالكاد أسمعك.. ماذا تقول؟

- أقول لك أني عرفت اسم صاحب المصنع الذي عملت فيه ثريا ووالد رفيدة المزيف، إنه...

اتسعت عينا رماح في دهشة.

كان رماح يعرف الاسم، يعرفه من مكان ما، ولكنه لم يكن في حاجة إلى أن يجهد عقله في التذكر، فقد صدحت مكبرات الصوت في نفس الوقت: "مع كلمة صاحب المدرسة الأستاذ: أحمد متولي الليثي."

11

وقف رماح متسمرًا في مكانه بعد أن أغلق الهاتف، ومازن ينظر إليه يستحثه على المضي ولا يفهم لم يقف هكذا متسمرًا. صاح به:

- هيا يا رماح، يمكننا الذهاب الآن، لن يهتموا بسبب اليوم الرياضي اللعين.. رماح! لماذا تقف هكذا؟

- مازن.. لقد عرفت من هو والد رُفيدة الحقيقي، إنه الليثي صاحب المدرسة.

- ماذا تقول؟ يا إلهي هل أنت واثق؟ ألذلك رفضت ثريا أن تخبرنا بهويته؟ يا إلهي! لا أصدق ما في هذه القضية من تعقيدات، يا إلهي كم كنا أغبياء! ظننا أنها خائفة من الإفصاح عن اسم والدها، لكن الأمر أنها لم تخبرنا به لأننا نعرفه بالفعل.. إذًا ماذا نفعل الآن؟ هذا يغير كل شيء؟ هل نذهب لنواجهه الآن؟ هل تظن أن رُفيدة علمت بحقيقة والدها وحاولت التواصل معه؟ ربما تهديده وابتزازه فقتلها؟

- اسمعني جيدًا.. يجب أن تذهب إلى ثريا لتبحث عن الهاتف؛ يجب أن نصل إلى الهاتف وتفاجئها بمعرفتنا الجديدة، وفي نفس الوقت سأجد طريقة لمواجهة الليثي، لأغلب الظن إنهما على اتصال بطريقة ما.. لا بد أن تصل لثريا قبل أن أواجه الليثي، لا يجب أن ندع لهما فرصة لترتيب الأمر معًا، احتمال أن تكون رفيدة اكتشفت حقيقة والدها كبيرة، ولا يمكننا الاعتماد على كلام ثريا بأن رفيدة لم تعلم بالأمر، خاصة أن الفتاة كانت على قدر كبير من الذكاء.

- فهمت.

- ابحث في كل شبر من الشقة، وتأكد أن زوجها البلطجي لن يكون موجودًا، اتصل به وأخبره إنه قد كسب جائزة مالية كبيرة ويجب أن يحضر لاستلامها، أو ادّعِ أنك تريد أن تقابله، اخترع شيئًا يجعله يغادر ولا تتصل به من رقمك، اذهب الآن، أما أنا فسأنتظر حتى ينهي الليثي كلمته وأحاصره.

ظل رماح يراقب الليثي وهو يلقي خطبته العصماء عن مدى حبه للتعليم وغرس المبادئ في نفوس الطلاب ويلقي دعاباته السخيفة، أمعن النظر في الرجل ذي البدلة العاجية والضحكة الساحرة، والذي يشبه نجوم السينما الكبار.. هل يمكن أن يكون قاتلًا؟ أم أنه عيّن قاتلًا مأجورًا؟ كما عين لابنته أبًا زائفًا من قبل؟ مضت نحو ثلاثة أرباع الساعة وهو يتكلم عن تاريخه المشرف، وكفاحه الدائم ضد الشر، يا لا نفاق بعض البشر؟ هل يكون مخطئًا؟ هل الأمر مصادفة ويكون الليثي ليس أبًا لزفيدة؟ قطع حبل أفكاره نزول الليثي عن المنصة، رآه يتوجه هو والناظرة إلى داخل المدرسة فتبعهما. عندما دخلا مكتب الناظرة، وصلت رسالة من مازن بأنه كاد أن يصل إلى منزل ثريا. كان الباب مفتوحًا فطرقه رماح ودخل دون أن ينتظر الإذن حتى. نظرت إليه محبات قائلة:

- أهلًا رماح، هل هناك شيئًا ما؟

كانت نظرات رماح مثبتة على الليثي.

- أريد أن أتحدث مع أستاذ الليثي.

نظرت محبات إلى الليثي الذي قال بابتسامة عريضة:

- تفضل يا بني.. تحدث.

- على انفراد إن لم تمانع يا أستاذ.

- أخشى لأنه ليس لدي الكثير من الوقت.. هل يمكن...

قاطعه رماح سريعًا:

- إن الأمر خاص بابنتك، ولا أظن أنك ستحب أن يستمع أحد إلى حديثنا بخصوصها، فهو أمر خاص جدًا.

أكد رماح على أخر كلماته، فتشنجت قسمات وجه الليثي ثم تنحنح قائلًا لمحبات:

- أستاذة محبات، سوف أتحدث مع هذا الولد قليلًا قبل أن أذهب.

بدا على محبات الذهول وعدم الفهم، ولكنها قالت في النهاية:

- مفهوم، أتمنى أن ننهي حديثنا بخصوص.

- للأسف، ليست هذه المرة لأن وقتي ضيق، ربما المرة القادمة.. أستأذنك أن تتركي لنا مكتبك حتى أتحدث مع هذا الشاب على انفراد.

خرجت محبات وهي تنقل نظرها بينهما، وتساءل بينها وبين نفسها عن ماهية الأمر الذي يجمع الاثنين ويجعل الليثي يلقي بها خارجًا بهذا الشكل! أغلق الليثي الباب خلفها، ثم جلس وراء مكتب محبات وسأل رماح في هدوء:

- ما اسمك ثانية يا بني؟

- رماح.

ابتسم الليثي ثم قال:

- ما الذي كنت تقوله بخصوص ابنتي؟ هل تعرفها؟ إنها تدرس خارجًا.

- ليست تلك، أقصد الأخرى.

- أية أخرى؟ ليس عندي سوى واحدة.

- زفيدة.

ضيق الليثي عينيه وجعد جبهته ثم قال:

- ليس لي ابنة اسمها زفيدة، هناك سوء تفاهم.

- زفيدة التي قُتلت هنا في المدرسة، أم أقول أنك قتلتها؟!

هب الليثي واقفًا:

- ما هذا الهراء الذي تقوله أيها الولد؟!

- بعد أن ألقيت بها ونسبتها إلى رجل آخر، هل هددتك بفضح أمرك؟ هل قالت لك أنها ستخبر الجميع أنك والدها ففقدت صوابك وقتلتها أو أرسلت من يقتلها؟

- اسمعني أيها الولد! أعرف ما تقوم به أنت وصديقك، إنكم تحاولون إلصاق التهم بي لتبرئة هذه البنت التي قُبض عليها، ليس لديك أي دليل على كل هذا الهراء.

- إذًا فقد أخبرتك ثريا بأمرنا، لن أدعك تنجو بفعلتك.. أقسم لك!

في منزل ثريا

طرق مازن الباب، فتحت له ثريا وسألته بعصبية:

- أنت ثانية؟ ماذا تريد؟ ألم أقل لكم أن تتركوني لشأني؟!

حاولت إغلاق الباب، ولكن مازن تصرف بسرعة ووضع يده ودفعها إلى داخل الشقة، ثم أغلق الباب وراءه.

- زوجي نائم في الداخل، لو صرخت سوف يقتلك.. إنه مجنون.

- أعرف أنه ليس هنا، كما أني في انتظاره ليأتي ويريني ماذا سيفعل الوغد الذي يضرب النساء.. اسمعي أيتها المرأة! لقد قُبض على ليلى، وسأفعل أي شيء لأثبت براءتها.

- قُبض على ليلى؟!

بدا عليها الذهول.

- نعم، وهناك أمر آخر.. نحن نعرف أن الليثي والد رُفيدة.

أراد مازن أن يفاجئها.

- ماذا تقول؟! من أخبرك بهذا؟!

- ليس مهمًا من أخبرني، هل تعلمين أن ابنتكِ كانت متورطة بعمليات ابتزاز؟

- لم أكن أعلم، أقسم لك، لم أكن أعلم انها هي من تبتز وتهدد الليثي.. عندما اتصل بي قبل شهور من مقتل رُفيدة يهدد ويتوعد لم أتخيل أن رفيدة هي من تفعل ذلك، أقسمت له يومها أنني ليس لي أية

صلة بالأمر، لم أقل لرفيدة أي شيء عن أبيها خوفًا عليها وعلينا من بطشه، أقسم لك لم يكن لي دخل في الأمر، ولم أفكر يومها قط أن رُفيدة هي من ورائه.

- ماذا فعل بعد أن اتصل بك؟

- لم يتصل ثانية، بدا أنه قد صدقني.. لم يكن يتصل بنا أبدًا قبل هذا اليوم، نسيت الموضوع ولم أعره اهتمامًا.

- هل اتصلتِ به بعد مقتل رُفيدة؟ ألم تساورك الشكوك؟

- لا، هو من اتصل بي.. ذُهلت يومها، أخذ يتحدث عن إحساسه بالذنب لما حدث لرُفيدة، وأنه كان يجب أن يراعيها أكثر، حتى لو من بعيد، وأنه يخشى أن تكون قد قُتلت انتقامًا منه، وكأن الأمر كان يعنيه يومًا الوغد، وقال أنه سيعوضني، ثم أكد على أن الصلة بينه وبين رُفيدة لا يجب أن يعرف بها أي مخلوق، ولا باتصاله الأخير بشأن الابتزاز.. كان هذا هو هدفه الأساسي من المكالمة أن يشتري سكوتي.

- سكوتك عن قتل ابنتك؟! وقد وافقتِ على ذلك!

- لم أربط يومها بين الابتزاز ورُفيدة، لقد اعتقدت أنه يتصل ليتأكد أن اسمه لن يأتي في تحقيقات الشرطة، أنا أعرف الليثي جيدًا.. أهم شيء عنده اسمه واسم عائلته.

- إذًا كيف عرفتِ أن رُفيدة وراء الأمر؟

بدا على ثريا التوتر، صرخ فيها مازن:

- انطقي.. انطقي!

- بينما كنت أرتب غرفة زفيدة وأنظفها وجدت هاتف مُخبأ تحت سريرها في كوة صغيرة داخل الحائط، أدركت يومها أن زفيدة كانت في ورطة.. بعد أن نجحت في فتح الهاتف رأيت كل رسائل الابتزاز ومنها رسائل الليثي كانت محتفظة برقمه باسم أبي الوغد.

- ولمَ تسلميه للشرطة؟ لم تبلغي عن قاتل ابنتك؟

- هل كان ذلك سيعيد ابنتي من التراب؟ أمثال الليثي يخرجون من كل امر كما تخرج الشعرة من العجين؟ لم أكن لأستفيد سوى أن يشن عليّ حربًا شعواء، وربما يلقي بي في السجن بتهمة قتلها، أنت لا تعرف مدى سلطته وبطشه.

نظر إليها مازن باحتقار. كان يعلم أن ما تقوله قد يكون صحيحًا، ولكنه أدرك رغم ذلك أن زفيدة لم تحظَ فقط بوالد وغد وحقير، ولكن بأم لا قلب لها أيضًا. كان يرى أنها آثرت الصمت طمعًا في المال الذي ستحصل عليه بوعد من الليثي أكثر من أي شيء أخر.

- أين الهاتف؟ أين الهاتف؟ أقسم لكِ إن لم تُعطِني الهاتف سأقتلك! قُلت لكِ سأفعل أي شيء لأخرج ليلى التي زُجت في هذا الأمر بسبب خرائكم.. هيا أحضريه حالًا!

- انتظر هنا، سوف أحضره لك.

- سوف آتي معكِ، أنا لا أثق فيكِ.

توجهت إلى المطبخ وهو يتبعها ونظره مثبت عليها، وكأنه يخشى أن تختفي أو تلقي بنفسها من النافذة قبل أن تعطيه الهاتف اللعين، أمله

في إنقاذ أخته.

توجهت إلى المطبخ وفتحت إحدى الخزائن السفلية وبحثت فيها قليلًا، ثم أعطت له هاتف ذكي، ولكنه بدا قديمًا بعض الشيء ثم قالت له:

- خبأته هنا حتى لا يراه زوجي ويسألني عنه.. إنه لا يدخل المطبخ أبدًا، أتمنى أن تجد فيه دليل براءة ليلى.. فككت كلمة السر عند أحد المحلات المشبوهة، لم أستطع أن أقرأ كل الرسائل، كان من الصعب عليّ تصديق أن زفيدة كانت تفعل شيئًا كهذا، إنها ابنتي الصغيرة رغم كل شيء، قرأت فقط بعض رسائلها لأبيها، أو بمعنى أصح الرجل الذي ساهم في مجيئها لهذه الحياة التعيسة.. لم يكن أبًا لها أبدًا.

تمنى مازن لو يقول لها بمنتهى الصراحة أنكِ أيضًا لم تَكُني أمًا لتلك الفتاة أبدًا، ولكنه آثر الصمت، سألها:

- هل أخبرتِ الليثي أن رفيدة هي من كانت وراء عملية ابتزازه؟

- لا.

فكر أنها احتفظت بالهاتف حتى تستخدمه ضد الليثي يومًا ما وربما تبتزه أيضًا.

أخذ الهاتف دون أن يوجه لها كلمة أخرى، ثم انطلق يجري خارجًا من هذه الشقة اللعينة، أدرك أن زفيدة لم تجد الحب في هذه الشقة أبدًا ولا بد أنها قد كرهتها وتمنت مغادرتها في أسرع وقت. وهو في الشارع اتصل برماح وعاجله:

- حصلت على هاتف زفيدة، ماذا فعلت مع الليثي؟

- واجهته، ولكنه لم يعترف بشيء وهددني بتدمير مستقبلنا.

- أما ثريا فقد اعترفت بكل شيء.

حكى لصاحبه كل ما قالته ثريا.

- لم أرتح لتلك المرأة يومًا، إذًا على حد قولها لم يعرف الليثي أن ابنته هي التي كانت تبتزه، فهي لم تخبره بالأمر.. أظنها أرادت الاحتفاظ بالهاتف إلى اليوم الذي قد تحتاج فيه هذه المعلومة، ولكنه بالتأكيد أدرك ذلك من كلامي الآن، ولعله كان يعلم ويتظاهر فقط أمام ثريا أنه لا يعرف أن رفيدة وراء الأمر، أو أن ثريا تضللنا ثانية.. يجب أن أرى الهاتف قبل أن نسلمه للشرطة، أين أقابلك؟

- تعال على المقهى القريب من بيتي.

- أراك هناك.

دخل مازن المقهى ليجد رماح جالسًا في إحدى الزوايا البعيدة، أخرج الهاتف من جيبه وأعطاه له، عندما أمسكه رماح ودخل عليه:

- فكت ثريا كلمة السر.

- بالطبع، عندما وجدته مخبأً تحت سرير ابنتها، علمت أن ابنتها تخفي أمرًا.

بدأ رماح في قراءة الرسائل.

- يا إلهي! لقد ابتزت رفيدة عددًا كبيرًا من الناس، لا أعلم إن كان جميعهم في المدرسة حتى.. إنهم مجرد أرقام، الوحيد الذي خزنت اسمه كان الليثي، ولكن انتظر! هناك رقمًا يتكرر كثيرًا، رسائله

مختلفة: "أين سنتقابل؟ أريد أن أراك.. اشتقت إليك" لا بد أن هذا هو صديقها التي تحدثت عنه مع مايا.

- فلنتصل به.

- اسأل عن أحدهم ثم أغلق الهاتف، كأنك قد طلبت رقمًا خاطئًا.

- حسنًا.

أملاه رماح الرقم حتى يكتبه على هاتفه، رن الهاتف عدة مرات، ثم جاء الصوت من الجهة الأخرى على مكبر الصوت:

- ألو..

وضع رماح يده على فم مازن لكيلا يتحدث. جاء الصوت ثانية:

- ألو.. من معي؟ ألو.

ثم أغلق الخط، سأله رماح وعيناه متسعتان:

- هل عرفت الصوت؟

- نعم، إنه سليم.. أنا متأكد.

- وأنا أيضًا تعرفت عليه، لا يبدو أن العلاقة بين سليم وزفيدة كانت كما وصفها.. انظر! هناك العديد من الرسائل ردًا على رسائل زفيدة.. كلها رسائل مقتضبة بتحديد موعد فقط.

- هل أرسل لها كلمات حب؟

- لا، ولكن يبدو أنه بالفعل كما قال سليم لنا أنه في الفترة الأخيرة لم يعد يستجيب لرسائلها، كانت الرسائل ترسل من رفيدة فقط، وسليم

لا يستجيب لتلك الرسائل.. متى كان هذا؟

- تقريبًا قبل موتها بشهر، ويبدو أن زفيدة بدأت تغضب من الأمر.. كانت تكتب له: "إن لم تستجب، سوف أخبر الناس بكل شيء" تهديدات كثيرة بالفضيحة.

- طبيعي أن تهدده إن لم يكن يستجيب لرسائلها.

- متى كانت أخر رسالة بينهما؟

- قبل أسبوع من موتها، كتبت له إن لم تقابلني وتوضح كل شيء سوف أخبر الجميع بكل شيء.. كل شيء!

شرد رماح في أفكاره الخاصة، هناك فكرة بدأت تتبلور داخل عقله. سأل مازن:

- هل معك صور للرسائل التي كتبتها زفيدة لسليم؟ أتمنى أن أجد فيها شيئًا.

- نعم، انتظر.. سأرسلها لك.

جلس كل منهما يقرأ الرسائل التي كتبتها زفيدة. كانت كثيرة والخط صغير ومتشابك، ولا يكاد يُقرأ كما اشتكت ليلى من قبل. جلسا هناك لساعات طويلة يحاولان فك طلاسم الخط المتشابك في الرسائل حتى صرخ مازن:

- اسمع هنا ماذا كتبت؟! "إنني أكره عائلتي الحقيرة يا سليم، أمي التي لا لم تحضنني يومًا، ولم تهتم بي أكثر من مقعد في بيتها، وأبي الذي رماني وتبرأ مني لقد عرفت من هو وكم أتمنى أن انتقم من

الوغد، إنك لن تصدقني إذا أخبرتك." ولكنها تبدأ له في الحكي عن مايا وأشياء أخرى.

- هذا ما أبحث عنه بالضبط ويدعم فكرتي التي كونتها، لقد كان سليم يعرف بشأن الليثي.. لا بد أنها أخبرته أن الليثي والدها، يبدو لي أنها احتفظت بالمعلومة حتى تقولها له وجهًا لوجه حتى ترى الدهشة على وجهه.. فكرتي ببساطة أن سليم كان شريك ژفيدة في الابتزاز، ليس كله، على الأقل ابتزاز الليثي.

- كيف أغفلت ليلى هذا؟ لقد أخبرتني أنها قرأت الرسائل ولم تجد فيها ما يهم.

- لأنها عندما قرأتها لم تعرف هوية والد ژفيدة، ولم تعرف وقتها أن رفيدة بالفعل عنت ما تقول، لقد ظنت أنها تعبر عن غضبها فقط، لم تتخيل أن رفيدة تحترف الابتزاز منذ فترة، ولم تكن تعرف أن رفيدة بالفعل قد عرفت هوية والدها، لم تكن الصورة واضحة وقتها ولعل ليلى بدافع الخوف كانت تقرأ هذه الرسائل، وكل ما يهمها ألا تجد فيها ما يدينها، فغفلت عن كل ما عدا ذلك.

- إذًا أنت ترى أن سليم شريكها، الآن أفهم فكرتك، ربما اختلفا على أمر ما ربما الأموال، ففعلت رفيدة ما اعتادت على فعله، هددته بفضح أمره في المدرسة وعند الليثي، وبالتالي أصبح بقائها على قيد الحياة خطر عليه، ويجب التخلص منها، أو أن الليثي قد كشف أمرها وأدرك أن بقائها على قيد الحياة يعني استمرار تهديده وابتزازه فقرر التخلص منها نهائيًا، ولكن كيف نعرف من منهما قد فعلها؟

- أمثال الليثي يميلون إلى حل مشاكلهم بالمال، أن يُسكت زفيدة أو غيرها بالكثير من الأموال.. لا أقول أنه لن يتورع عن القتل إن اضطر لذلك، ولكن بالنسبة له كان هذا الأمر ليحل ببعض الأموال السهلة.. إن كان الليثي هو القاتل، كان ليخطط لهذه الجريمة أن تحدث بعيدًا عنه وعن مدرسته، كأن يرسل أحدهم ليصدمها بسيارة، ولكن هذه الجريمة كانت وليدة اللحظة، كان القاتل ذكيا بما يكفي لطمس أثاره، ولكنه اتخذ قرار القتل سريعًا دون إعداد طويل.

- إذًا ماذا سنفعل؟

- سوف أعرض على الليثي عرضًا، إن قبله تأكدنا بأنه ليس القاتل.

- وإن رفضه؟!

- سنعيد البحث في أوراقنا مرة أخرى، ولكني أكاد أكون متأكد بأنه سيقبله.

- لماذا لا نضع كل هذا تحت يدي الشرطة ونتركهم يتولون الأمر من هنا؟

- من قال أننا سنفعل هذا بدون مساعدة الشرطة؟ بالطبع نحتاج لتدخل الشرطة، سوف أتصل بصديق جدي الشرطي المتقاعد الذي أخبرتك عنه وساعدني من قبل، سيتمكن من خلال اتصالاته أن يدبر لنا الأمر بإذن الله مع الشرطة.

12

اتصل رماح بالسيد سمير صادق، وشرح له كل المستجدات. أغلق الرجل معه الهاتف ووعده بأنه سيفعل أقصى ما وسعه لإتمام خطته، أخذ نفسًا عميقًا ثم اتصل بالليثي الذي حصل على رقمه من هاتف رفيدة، بغض النظر عن رد السيد صادق فإنه عازم على الأمر.

- السيد الليثي.. أنا رماح، أتصل بك بخصوص.

- ماذا تريد مني أيها الولد؟

- اتصلت بك لأخبرك فقط بأنني حصلت على الدليل ضدك، لقد وجدت الهاتف الذي استخدمته ابنتك في ابتزازك، لقد أردت أن أعرض عليك صفقة قبل أن أسلمه للشرطة.

صمت ثم قال في غيظ مكتوم:

- اسمع أيها الولد.. أنا لم أقتلها، كيف لي أن اقتل ابن...

توقف قبل أن يكمل (ابنتي) ثم أردف:

- أنا حتى لم أعرف أنها هي من وراء الأمر إلا عندما أخبرتني أنت.

- أعرف أنك لم تقتلها، ولكني أريد منك أن تساعدنا في القبض على قاتلها.

- ماذا تقول؟! هل عرفت من قتلها؟

- نعم، إن لم تهتم بزفيدة في حياتها، على الأقل أسدي لها معروفًا بأن يُقتص من قاتلها، كما أن هذا هو السبيل الوحيد حتي لا يزج

باسمك في هذه القضية.

لم يرد الليثي، وظل صامتًا عدة دقائق ثم قال:

- تعال قابلني واشرح لي ما تريد مني فعله؟

بعد محادثات طويلة لرماح والشرطة مع الليثي بوساطة السيد صادق، توصلوا لاتفاق يضمن لليثي ألا يذكر اسمه في التحقيقات بعد القبض على سليم، وألا يطلب في أية تحقيقات بعد ذلك بخصوصها، ولا حتى عندما تصل القضية إلى المحاكم. وبعد إعداد كل شيء من قبل الشرطة في مكتب الليثي، اتصل الليثي بسليم:

- ألو.. أستاذ سليم، معك السيد أحمد متولي الليثي، لا بد أنك تعرفني جيدًا.. أود مقابلتك بخصوص أمر هام وخطير، أرجو منك الحضور على الفور، لا يمكنني الحديث على الهاتف بهذا الشكل، سوف أعطيك العنوان، وإن أردت فسوف أرسل إليك السائق ليصطحبك إلى هنا.. إذًا سأرسله لك في الثامنة، هل الأمر مناسب؟ إذًا أراك في الموعد يا أستاذ سليم.

كانت الخطة تقتضي بألا يعطي الليثي أية تفاصيل لسليم في الهاتف حتى لا يخاف، سيدفعه فضوله لمقابلة صاحب المدرسة التي يعمل فيها. بعد ساعة تقريبًا، دخل سليم على الليثي في مكتبه. بدا قلقًا، ولكنه واثق من نفسه. استقبله الليثي قائلًا:

- أهلًا أستاذ سليم، يسعدني أن أراك حتى ننهي هذا الأمر معًا.

- لا أخفي عليك يا سيدي.. تفاجأت كثيرًا من مكالمتك، عسى أن يكون الأمر خيرًا.

- للأسف ليس خيرًا، لقد وصلني اليوم خطاب في البريد يوضح لي أمورًا خطيرة.

لم ينطق سليم بحرف، وظل صامتاً، فأكمل الليثي:

- أنت تعرف كل الأسر لديها أسرار، ولكن للأسف البعض يستغل هذه الأسرار ليبتز الأسر العريقة التي تخشى علي سمعتها، للأسف هذا ما حدث معي، ولم أفهمه حتى وصل إليّ هذا الخطاب.

تململ سليم في مجلسه، وحاول أن يخفي قلقه ثم قال:

- حقًا سيدي أنا لا أفهم.. ما هذا الخطاب؟ وما علاقتي أنا بكل ما تقول؟

- إنه خطاب من زفيدة؟ ابنتي.. أظنك تعرفها جيدًا، تشرح فيه كل شيء، وتعترف بأنك شريكها في عملية الابتزاز التي قامت بها، وتخبرني أنها إن قُتلت يومًا ستكون أنت من فعلتها.

- ما هذا الهراء؟! أنا لا أعرف شيئًا عما تقوله.

هب سليم واقفًا، في هذه اللحظة أخرج الليثي الهاتف كما الخطة.

- أظنك تعرف هذا الهاتف جيدًا، فلقد كنت تعرف كل شيء عن ابنتي.. على هذا الهاتف الكثير من الأدلة التي قد تلف حبل المشنقة حول رقبتك.

- إذًا فقد حصلت على الهاتف، لن يمكنك تقديمه ضدي لأنه سيلوث شرف العائلة العريقة أيضًا يا سيد الليثي.. إياك أن تنسى هذا، لا تدّعِ الفضيلة يا رجل! لقد تخليت عن ابنتك ونسبتها لرجل آخر، ثم

تأتي بعد كل هذه السنين لتحاسبني! الأحرى بك أن تشكرني، فلقد خلصتك من عبء وفضيحة أردت أنت لو وأدتها منذ ثمانية عشر عامًا.. ألا ترى أنني قد أنجزت لك المهمة؟ لقد ربح كلانا بموتها.

ارتسمت على وجهه ابتسامة شيطانية خبيثة.

- أيها الشيطان الحقير..

قام سليم واقفًا بهدوء، ثم نفض بطرف إصبعه على قميصه وكأنه يزيل عنه ذرة غبار في برود واضح.

- أظن أننا قد سوينا الأمور بالفعل يا ليثي بيه.

عندما توجه إلى باب المكتب ليخرج، باغتته الشرطة واقتحمت المكتب وسدت عليه الطريق. صرخ في ذهول:

- ما هذا؟ أنا لم أقتلها! ابتعدوا عني.

قال الشرطي الذي تقدم للقبض عليه:

- لقد سمعنا ما يكفي، لقد صدر الأمر بالقبض عليك يا أستاذ سليم، وبتفتيش مكتبك في المدرسة ومحل إقامتك.

أخذ سليم يصرخ:

- لم أقتلها.. لم أقتلها.

رأى سليم رماح ومازن يقفون وراء أفراد الشرطة. صرخ قائلًا:

- أنتما الاثنان.. أنتما الاثنان وراء كل هذا.

قال رماح في احتقار:

- أنت أحقر إنسان رأيته في حياتي.

قال مازن في ازدراء:

- يا لك من شيطان حقيرا

استمرت التحقيقات مع سليم حتى انهار واعترف بالأمر كله. عندما أخذت اعترافاته الكاملة، استطاع السيد صادق الحصول على نسخة منها ليضعها بين يدي رماح وأصدقائه قائلا له:

- خذ اقرأها أنت وأصدقاؤك.. لقد استحققتم أن تعرفوا الحقيقة الكاملة.

اجتمع رماح ومازن وليلى يومها في مقهى، أمسك رماح الاعترافات وبدأ يقرأ عليهم اعترافات سليم:

- كانت زفيدة في بادئ الأمر بالنسبة لي مجرد فتاة مولعه بأستاذها، كانت فتاة خجولة لا تلفت النظر، صامتة معظم الوقت قلما تتحدث، اعتادت أن ترسل لي الرسائل، والتي كنت لا أهتم بقراءتها في كثير من الأحيان حتى جاء ذلك اليوم، كانت قد أرسلت لي عدة رسائل، وكنت أشعر بالملل، فجلست أقرأهم لقتل الوقت كما يقولون.. ذُهلت عندما وجدتها تعترف لي أن الليثي صاحب هذه المدرسة هو أبوها وأنه قد نسبها لأحد عماله في المصنع، أدركت وقتها أنني قد وقعت على منجم ذهب.. يجب أن أستفيد بهذه المعلومة، بدأت في التقرب إليها، وفكرت أنني ربما أتزوجها لأحصل على أموال أبيها، ولكني أدركت بعد فترة أن الليثي لا يعطيها الكثير من الأموال رغم ثرائه الفاحش؛ لذلك فكرت أنه يجب عليّ تغيير الخطة، ووجدت عندها

الاستعداد.. كانت قد بدأت بالفعل في ابتزاز بعضًا من أصحابها؛ لذلك لم يكن من الصعب إقناعها بالأمر.. لمحت لها أنني أريد الزواج بها، ولكن ينقصني المال لإتمام هذا، لماذا لا نحصل على الأموال الحقيقية من الليثي وتنتقمي منه كما أردتِ؟ وعندها يمكنني الزواج بكِ، كنت أفكر أنه في أي وقت كُشفت ستلبس الفتاة المكلومة في أبيها والراغبة في الانتقام التهمة، كنت متأكد من حبها لي، وأنها لن تشي بي أبدًا، وبالفعل نجحنا في سحب مبلغ كبير من الليثي، واحتفظت به في حساب في أحد البنوك، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان.. لقد وقعت في الحب، وكانت زُفيدة السبب في ذلك أيضًا، كانت لا تنفك تكتب وتحدثني عن مايا حتى أثارت فضولي نحوها، راقبتها، كانت فتاة غاية في الجمال والرقة والحيوية، كانت النقيض من زُفيدة التي لم أحبها يومًا، تقربت منها وهمت بها عشقًا وحلمت بالزواج منها، ومع الأموال التي حصلت عليها صار الحلم قريب المنال.. توقفت عن الرد على زُفيدة وتهربت منها بشتى الطرق، أعدت لها رسائلها حتى تدرك أن علاقتنا قد انتهت، ولكني بالطبع احتفظت بالرسالة التي تعترف فيها باسم والدها حتى لا تستخدمها ضدي يومًا ما، ولكني أغفلت أنها قد أرسلت لي رسالة أخرى ولم تذكر فيها اسم والدها، والذي وجدها هذا الولد وفضحت أمري، تسبب ذلك في تفجير غضبها وأخذت ترسل لي الرسائل تهددني وتتوعدني، إلى أن جاء اليوم الذي عرفت فيه بطريقة ما بعلاقتي بمايا وهو يوم الجريمة، جاءت لي في المكتب وكانت كالمجنونة، وقالت لي أنها ستذهب إلى الليثي وتخبره بكل شيء، ولن يتوانى عن تدمير مستقبلي قبل أن أفرح مع تلك الحمقاء، وأنها ستخبر مايا

بحقيقتي.. طبعًا هدأتها وأنكرت أي علاقة مع مايا، وأخبرتها أني ما زلت على حبي لها، وأن بعدنا جعلني أدرك مدى أهميتها في حياتي، ورجوتها أن تسامحني على كل حماقاتي، وأخبرتها أنني كنت أحضر لها مفاجأة وأريد أن أريها إياها، كنت قد أخذت قراري في نفس اللحظة، وأعددت الخطة داخل عقلي.. يجب أن أقتل زفيدة اليوم وفي أسرع وقت قبل أن تذهب إلى الليثي ومايا وتخبرهما بكل شيء عنا وتضع نهاية لنا قبل أن نبدأ حتى.. وعدتها أن أقابلها بعد ساعتين في الحمام المهجور في آخر المدرسة، كنت أعلم أنه بعيد عن كل الأنظار والكاميرات، وكان معي نسخة مفتاح له؛ لأنه كان مرسم قبل أن يجعلوه حمامًا، ولم يعرف أحد أني ما زالت أحتفظ به؛ لذلك لم أخشَ أن يراني أحد، اشتريت قفازات طبية وذهبت سريعًا إلى منزلي لأحضر مطواة كانت مهداة لي من أحد أصدقائي، كانت مثالية، واعتذرت عن باقي حصصي بدعوى التعب، حرصت أن يراني الجميع وأنا أغادر المدرسة باكرًا، ثم تسللت إليها ثانية دون أن يراني أحد، أخذت طريق أعرف أنه خالٍ من الكاميرات، دخلت الحمام وجدت زفيدة في انتظاري وهي في قمة السعادة، أغلقت الباب بالمفتاح، وأجهزت عليها سريعًا؛ طعنتها.. وضعت يدي على فمها حتى لا تصرخ، وطعنتها حتى تأكدت أنها فارقت الحياة، سندتها على المرحاض ورأيت هاتفها ملقى بجانبها، ولكني كنت أعرف أن هذا الهاتف ليس عليه أي شيء يدينني، وقد تأكدت من الأمر سريعًا.. كنت أعرف أنها تحدثني من هاتفها الأخر الذي تستخدمه في عمليات الابتزاز وفي كل شي تود إخفائه عن أهلها، والذي أعلم جيدًا أنها لا تأتي به إلى المدرسة، تركته في مكانه لأني

لن أستفيد شيئًا من إخفائه، بل سيدفع الشرطة للبحث عن هاتفها وقد يجدون في بحثهم الهاتف الأخر والذي يحمل أدلة ضدي.

قالت ليلى في صدمة:

- يا إلهي! يا له من وحش لا قلب له! علمت أنه قد اخترع قصة صديقها تلك ليبعد عنه الشكوك.

- نعم، كما أنه طلب من مايا أن تكررها على مسامعنا حتى تترسخ عندنا، وبرر لها أنه بسبب تعلق رفيدة به تحوم حوله الشكوك، وطلب منها أن تكرر القصة لنا.. قال ذلك في اعتراف آخر هنا بشأن علاقته مع مايا.

- هل كانت تعلم أنه قاتل رفيدة؟

- حسب قوله لم تكن تعلم شيئًا، وأظن أن هذا حقيقي، لم تكن مايا لتتزوجه لو علمت بأنه قاتل رفيدة، لقد قتل رفيدة أساسًا حتى لا تعلم مايا حقيقته.

سألت ليلى في حيرة:

- ولكن هناك أكثر من أمر يحيرني في هذه القضية.. لماذا لم تكتشف الشرطة أمور الابتزاز بتفتيش حاسوب رفيدة الخاص؟ لا بد أنهم قد حصلوا عليه عندما قاموا بتفتيش غرفتها ودولابها الخاص في المدرسة، ولماذا لم يكتشفوا الاتصالات بين سليم ورفيدة بتتبع مكالماتها؟ أعني حتى لو أن الهاتف مفقود كان يمكنهم الحصول على هذه المعلومات من شركة الاتصالات، وكيف لم يرتابوا في أمر التحاقها بمدرسة باهظة التكاليف كمدرستنا وتتبع الأمر، كان أمر

المدرسة ليدلهم على الليثي.

- لقد أثار فضولي أيضًا أمر الحاسوب، ولكن اللواء صادق أخبرني أن الشرطة عندما سألت ثريا عن حاسوب رفيدة، أخبرتهم أن رفيدة كانت قد باعت حاسوبها قبل أيام من الحادثة لأنها أرادت شراء حاسوب أحدث؛ ولأن الشرطة لم تكن تعلم أنها تحقق في قضية ابتزاز أغفلت تتبع الحاسوب المباع، أما بالنسبة للاتصالات يا ليلى، فذلك لأن رفيدة كانت لا تتصل بسليم أو بأي من ضحاياها إلا من الهاتف المخبأ بأمان في غرفتها، والذي لم تعلم الشرطة عنه أي شيء، أما الهاتف المفقود، فكان سجل مكالماتها كله ينحصر في الاتصال بأمها وبعض المكالمات الأخرى العادية، أما بالنسبة لعدم ارتيابهم في أمر التحاقها بمدرسة لأن ثريا قصت عليهم قصة محكمة لتبرير الأمر، أخبرتهم أنها كانت تعمل عند عائلة الليثي في مصنع النسيج، ثم في خدمة أمه لسنوات طويلة والذي لم يكن صحيحًا بالطبع، وأنه كمكافأة لها على تفانيها في خدمة العائلة قرروا أن يمنحوا ابنتها فرصة جيدة للتعليم في مدرستهم من قبيل الإحسان، وقد أكد الليثي القصة بالطبع وكذلك أمه، وأظن أنها أخبرتنا بجزء كبير من الحقيقة عندما سألناها لأننا في نظرها مجرد صغار في المدرسة لا تخشاهم .

عقب مازن في ازدراء:

- يا إلهي! كانت رفيدة محاطة بمجموعة مثالية من الأوغاد.

قطع حديث مازن رنين هاتفه.

- إنها أمي.. أصبحت تتصل بنا الآن كل نصف ساعة تقريبًا.

خرج مازن من المقهى المزدحم بالأصوات حتى يمكنه سماع أمه تاركًا ليلى ورماح. قالت ليلى بعد دقائق من الصمت المزعج:

- أود أن أشكرك يا رماح.

تسارعت الأحداث ولم يتسنّ لي شكرك كما ينبغي، لا يخفى عليّ أنه لولا تدخلك في هذه القضية، ما كانت لتظهر براءتي بهذه السرعة، في أحسن الأحوال لمكثت شهورًا قبل أن يتم تبرئة ساحتي، وفي أسوأ الأحوال كان حبل المشنقة في انتظاري.

تسارع الدم إلى وجه رماح مع كل كلمة تنطقها ليلى، حتى ظن أنه يحترق بالفعل، وتمنى أن يعود مازن سريعًا.

- لا عليكِ يا ليلى، إنكِ أخت أقرب وأعز أصدقائي، لم أكن لأتركك لتلقي حتفكِ بهذا الشكل وأنا أستطيع المساعدة.

صرخ صوت غاضب داخل عقله موبخا إياه: "ما الذي تقوله لها أيها الأحمق؟!"

ولكن ليلى ابتسمت، كانت قد اعتادت على طريقة رماح الفظة في التعبير عن دواخله. سألته في وهن:

- كنت تعلم منذ البداية؟

- لم أكن لأدعي ذلك، ولكني شككت أن تكوني متورطة بشكل ما، وواقعة في مشكلة كبيرة.

- هل ظننت أنني قتلتها؟

- لا، ولا للحظة واحدة.

ابتسمت ثانية ثم قالت:

- هل تعلم أن لك نصيب من اسمك؟ هل أخبرك أحدهم بهذا من قبل؟

ابتسم هو هذه المرة وسألها:

- ماذا تعنين؟

كان يعلم مقصدها، ولكنه أراد لها أن تستمر في الحديث.

- لك ذهن حاد وسريع كالرمح.

ابتسم كلاهما.

- أخبرني مازن أنك مسافر لتكمل دراستك بالخارج.

- نعم، سأسافر إلى ألمانيا، لقد تلقيت أكثر من عرض.

قاطعته:

- هل ستعود؟ أعني البعض ممن يدرسون بالخارج لا يريدون ال...

قاطعها عندما لاحظ تلجلجها:

- سأعود يا ليلى، سأعود بكل تأكيد.

ابتسمت شاكرة له أنه أراحها من تخبطها الأخير. عاد مازن أخيرًا متذمرًا:

- المرة القادمة التي ستتصل بنا أمي، سيكون دورك في الاستجواب، لن أتحمل مزيدًا من الأسئلة، لماذا لا تتصل بكِ أنتِ؟!

- أنت تعلم لماذا؟ لأنك الأخ الأكبر.

ابتسمت له لتغيظه ثم أكملت:

- معها حق يا مازن، ما مررنا به لم يكن سهلًا ولا عاديًا.

زفر مازن ثم التفت إلى رماح وسأله وكأنه تذكر أمرًا ما:

- من كلام سليم يبدو أنه استولى على أموال الابتزاز كلها لنفسه، الأحمق هل ظن أن زفيدة ستترك الأموال له؟

- أنت لم تفهم بعد يا مازن، زفيدة لم تهتم بتلك الأموال.. ما كانت تبحث عنه وتهتم به هو أن تجد من يحبها، لم يقتل سليم زفيدة حين سدد لها هذه الطعنة، لقد قتلها من قبل عندما تخلى عنها بعدما ظنت أنه سيعوضها عن الحب الذي لم تجده من والديها، لقد قُتلت زفيدة أكثر من مرة؛ قتلها أبوها عندما تخلى عنها وهي لا تزال جنين في رحم أمها ونسبها لرجل أخر، قتلتها أمها عندما اكتفت بأن جاءت بها لهذه الحياة ثم لم تهبها الحب والحنان والاهتمام، لقد قتلوا زفيدة مرات ومرات وليست مرة واحدة.

تمت بحمد الله

للتواصل مع الكاتبة عبر الإنستجرام: